«الحروف المقطعة» في ضوء «قضية الإعجاز»

د. هشام السيد إبراهيم مصطفى خضر

مدرس الدراسات الإسلامية بقسم اللغة العربية

كلية الآداب – جامعة الزقازيق

الملخص:

في سياقِ **(تحليلِ الخطابِ القرآنـيّ)** اختلفتْ آراءُ أهلِ العلمِ حول «**الحروف المُقطَّعـة**»؛ فمـنهم مَـن توقَّـفَ فـي شـأنها، واعتبرهـا مِـن المُتشـابه الـذي اسـتأثرَ اللهُ بعلمه، ومنهم مَن رآها **خطابًا** مِن الله (عز وجل) إلى نبيِّه «**مُحَمَّدٍ**» (صلى الله عليه وسلم) أعْلَمَهُ معناه دون بقيَّة خلقِه، ومنهم مَن رآها **خطابًا** مِن اللهِ تعالى إلى خاصَّـةِ أوليائِه أوْدَعَهَا لطائفَ إشاراتِه، وضمَّنها أسرارَ معانيه التي يقصدُهم بها دون سائرِ خلقِه، ومنهم مَن رآها **خطابًا** مِن الله تعالى إلى كافَّةِ أوليائِه وإلى عامَّة المُكلَّفين، فهي مِن وجهةِ النظرِ تلك ليستْ مِن المُتشابه الذي استأثرَ اللهُ بعلمه، بل هي مِن المُحكَم أو مِن المُتشابه الذي يُطلَبُ بدقائقِ العلمِ.

وعلى كلٍّ؛ فإنَّ البحثَ عن معاني تلك الحروفِ لا يكادُ يصل بصاحبه إلى نتيجةٍ يطمئنُّ إليها؛ فقد **تشعَّبت الآراءُ، وتباينت المَذاهبُ، وتعدَّدت الأفكارُ حول تلك الحروف،** بحيث إنَّك لا تكادُ تجدُ أحَدًا استقام له رَأْيٌ إلَّا وتجدُ آخَرَ قد مَحَى له ذلك الرَّأْيَ، ولا تجدُ أحَدًا استقرَّ له مَقامٌ إلَّا وتجدُ آخَرَ قد أقام له فيه اعتراضًا أحاله دون مَقامِه، حتَّى صار **البحثُ عن معاني تلك الحروف وعن وَجْـهِ الإعْجَازِ فيها هو بذاتـه وَجْـهَ الإعْجَازِ**، إذ الحيرةُ في الثبات على حقيقة أمْرٍ بُرهانُ العَجْزِ عن الوصول إلى هذه الحقيقة.

ويبقى البحثُ عن **وَجْـهِ الحِكمـةِ مِـن إنزالِهـا علـى هـذا النحـو** هو سبيلُ الانتفاعِ بها على جهةِ غلبةِ الظنِّ، لا على جهةِ القطعِ واليقين، والحكمةُ مِن إنزالِها لا توصفُ – ولا يمكنُ أنْ توصفَ – بأنَّها مِن **المُتشابه** الذي استأثرَ اللهُ بعلمه، ولا مِن **المُحكـم** الذي لا يسعُ أحدًا الجهلُ به، بل هي ممَّا يدركُ بشيْءٍ مِن النظرِ، وإعمالِ الفكرِ، ولعلَّ ذلك يفسِّرُ اختلافَ مذاهبِ أهلِ العلمِ في بيانِ تلك الحِكَمِ، والكشفِ عمَّا تضمَّنتها هذه الحروف مِن الأسرار، **ولعلَّ أقربهم إلـى الصَّـواب، وأبعدهم عن الوَهْم مَن بحثَ عن تلك الحِكَم وهاتيك الأسرارِ في ضوءِ «قضيَّةِ الإعجَازِ»**، وهذا ما حاولَ هذا البحثُ الوقوفَ عليه.

The Disjointed Letters in the Light of the Miracle Issue

Abstract:

In the context of analyzing the Quranic discourse, scholars have differed in their opinions regarding the disjointed letters. Some have considered them as part of the similar verses" or "mutashabihat" verses that Allah has kept the knowledge of their meanings to Himself, while others have seen them as a divine speech from Allah (Glorified be He and Exalted) to His Prophet Muhammad (PBUH) in which he alone knew their meanings, excluding the rest of creation. Some have also viewed them as a divine speech from Allah (Glorified be He and Exalted) to His Ouliya al-Rahman" or "Guardians of the Merciful. Entrusted to them with subtle indications that contain the secrets of His meanings, excluding the rest of creation. Lastly, some have considered them as a divine speech from Allah (Glorified be He and Exalted) to all of His saints and accountable people, and from this perspective, they are not part of the similar verses" or "mutashabihat" that Allah has kept the knowledge of their meanings to Himself, but rather they are either decisive or similar verses" or "mutashabihat" that can be understood through meticulous knowledge.

However, the search for the meanings of these letters hardly leads one to a satisfying conclusion. Opinions have diverged, schools of thought have varied, and ideas have multiplied regarding these letters. It is difficult to find someone who adheres to a certain opinion without finding others who refute it. The search for the meanings of these letters and the miraculous aspect in them has become an enigma in itself. The confusion in establishing the truth about this matter is evidence of our incapacity to reach it.

Nevertheless, searching for the wisdom behind revealing these letters in this manner is a way to benefit from them based on the predominance of conjecture, not on certainty. The wisdom behind their revelation cannot be described as part of the similar verses" or "mutashabihat" verses that Allah has kept

the knowledge of their meanings to Himself or as decisive verses that no one can be ignorant of. It is something that can be grasped through insight and intellectual effort. Perhaps this explains the difference in opinions among scholars in explaining these wisdoms and uncovering the secrets contained within these letters. The closest to the truth and farthest from delusion are those who search for these wisdoms and secrets in light of the miracle issue, and this is what this research aims to achieve.

مدخل إلى قضية الإعجاز:

إنَّ «القُرآنَ» قد بلغ مَبْلَغًا أعْجَزَ القُدْرَةَ البَشَرِيَّةَ عن الإتيان بمِثْلِه، ولا يمكنُ لأحدٍ أبَدًا أنْ يقطعَ بالسَّببِ الذي أعْجَز بُلغاءَ «العربِ» عن أنْ يأتوا بمِثْلِه[1]، إذْ لا يمكنُ لأحَدٍ أنْ يكونَ قد اطَّلعَ على أحوال قلوبهم حال استماعهم للقُرآنِ، ثمَّ انكشف له الوَجْهُ الذي أعْجَزَهم، **لكنْ تقومُ الأدلَّةُ، وينعقدُ الإجماعُ على أنَّهم ما تركوا مُعارَضة «القُرآنِ» إلَّا عَجْزًا مِن أنفسهم؛ وذلك لأنَّ «القُرآنَ» قد نَقَضَ عادتهم في الكلام والإعراب والبيان، ووجدوا فيه عُلُوًّا لمْ يُعْهَدْ**، إذْ "إنَّه لمْ يبلغْ نَمَطٌ مِن أنْمَاطِ كلامِ «العربِ» فيما قالوه شِعْرًا أو نَثْرًا –أيًّا كانت قوَّته بلاغةً وفصاحةً– أنْ يكونَ قريبًا مِن بلاغةِ «القُرآنِ» وفصاحتِه، فقد بَلَغَ «القُرآنُ» في مِضْمَارِ البلاغةِ والفصاحةِ الطَّرفَ الأعْلَى، وهو ما يُمْكِنُ أنْ نُسَمِّيَه حَدَّ **(الإعْجَازِ)**، لأنَّ هذا كان المَيْدانَ الذي تَحَدَّى «القُرآنُ» فيه «العربَ» وهم فرسانُه، **وأصدقُ دليلٍ على هذا الإعْجَازِ مَوْقِفُ مَن تحدَّاهم «القُرآنُ» مِن فُصَحاءِ «العربِ» مِن هذا التَّحدِّي عَجْزًا واسْتِسْلَامًا مع حِرْصِهم على تكذيبِ «القُرآنِ»**"[2]؛ قال «**القُرْطُبِيُّ**» (رحمه الله): "...وبهذا قامت الحُجَّةُ على «العرب»، إذْ كانوا أربابَ الفصاحةِ، ومَظَنَّةَ المُعارَضةِ، كما قامت الحُجَّةُ في مُعْجِزَةِ «**عيسى**» (عليه السَّلام) على **الأطِبَّاء**، ومُعْجِزَةِ «**موسى**» (عليه السَّلام) على **السَّحَرة**، فإنَّ «الله» (سبحانه) إنَّما جعل مُعْجِزَاتِ الأنبياءِ (عليهم السَّلام) **بالوَجْهِ الشَّهيرِ** أبْرَعَ ما يكون في زمان النَّبِيِّ الذي أراد إظهاره، فكان **السِّحْرُ** في زمان «**موسى**» (عليه السَّلام) قد انتهى إلى غايته، وكذلك **الطِّبُّ** في زمن «**عيسى**» (عليه السَّلام)، **والفصاحةُ** في زمن «**مُحَمَّدٍ**» (صلَّى الله عليه وسلَّم)"[3].

ومِن ثَمَّ يُمْكِنُ القول: إنَّ «**الإعْجَازَ اللُّغويَّ» هو الذي وقع مِن جهتِه التَّحدِّي بـ«القُرآنِ»، إذ «الإعْجَازُ اللُّغويُّ» وَجْهٌ لا يتسرَّب إليه الطَّعْنُ بحالٍ مِن الأحوالِ، فبلاغةُ «القُرآنِ» وفصاحتُه لا تخلو منها سورةٌ مِن سُوَرِه، ذلك أنَّ «الإعْجَازَ اللُّغويَّ» يتعلَّقُ بـ«القُرآنِ» ذاتِه في بِنْيَتِهِ اللُّغويَّةِ التي لا ينفكُّ عنها،**

ومِن ثَمَّ كان هذا الوَجْهُ أوَّلَ ما تناوله العلماءُ بالبحثِ، وكان قَدْرًا مُشْتَرَكًا بينهم في الحديثِ عن (**الإعْجَاز**).

وهذا الرَّأيُ هو الذي مالَ إليه الحُذَّاق مِن أهلِ الصُّنْعَةِ، وأخذَ به الجمهورُ مِن العلماءِ؛ يقول «**ابنُ عطيَّة الأندلسيّ**» (رحمه الله): "... **والذي عليه الجمهورُ والحُذَّاقُ –وهو الصحيحُ في نفسِه– أنَّ التَّحدّي إنَّما وقعَ بنَظْمِهِ، وصِحَّةِ معانيهِ، وتوالي فصاحةِ ألفاظِهِ**. ووَجْهُ إعْجَازِهِ أنَّ «**اللهَ**» (تعالى) قدْ أحاطَ بكلِّ شيْءٍ عِلمًا، وأحاطَ بالكلامِ كلِّه عِلمًا، فإذا ترتَّبت اللَّفظةُ مِن «القُرآنِ» عَلِمَ بإحاطتِهِ أيَّ لفظةٍ تصلحُ أنْ تَلِيَ الأُولَى، وتُبَيِّنَ المعنى بعد المعنى، ثمَّ كذلك مِن أوَّل «القُرآنِ» إلى آخره، والبَشَرُ معهم الجَهْل والنِّسيان والذُّهول، ومَعْلُومٌ ضَرُورَةً أنَّ بَشَرًا لمْ يكنْ قطُّ مُحِيطًا. فبهذا **جاءَ نَظْمُ «القُرآنِ» في الغايةِ القُصْوَى مِن الفصاحةِ** ... فكتابُ «**اللهِ**» لو نُزِعَتْ مِنْه لفظةٌ ثم أُدِيرَ لسانُ العربِ في أنْ يُوجَدَ أحْسَنُ مِنْها لمْ يُوجَدْ. ونحن تبيَّنَ لنا البراعةُ في أكثرِه، ويخفى علينا وجْهُها في مَواضِعَ؛ لقصورِنا عن مَرْتَبَةِ «العربِ» يومَئذٍ في سلامةِ الذَّوقِ، وجَوْدَةِ القريحةِ، ومَيْزِ الكلامِ"[٤]ا.هـ.

إنَّ «القُرآنَ الكريمَ» بلفظِه وعبارتِه قد رَاعَ العربَ بتفوُّقِ بيانِه، وأثارَ أسلوبُه وعبارتُه إعْجَابَهم، وأعلنوا أنَّهم ما رَأَوْا مِثْلَه في عُلُوِّ شَأْنِه، وحُسْنِ رَصْفِه، شِعْرًا كان أو نَثْرًا، ولقد شَعَرَ أئمَّةُ الكفرِ أنفسِهم بسُلطانِهِ على القلوبِ – وهو القَدْرُ المُتاحُ لهم لإدراكِ (**إعْجَازِه البيانيّ**)– فقالوا لأتباعِهم: ﴿**لَا تَسْمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْاْ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ**﴾[٥]، وذلك خَوْفًا مِن سَرَيَانِ تلك الرُّوحِ التي شعرَ بها «**الوليدُ بنُ المُغِيرَةِ**» حينما جاءَ النَّبِيَّ (صلَّى الله عليه وسلَّم)، فقرأَ عليه النَّبِيُّ (صلَّى الله عليه وسلَّم) «القُرآنَ»؛ يقولُ «**ابنُ عبَّاسٍ**» (رضي الله عنهما):"... **فكأنَّه رقَّ له**، فبلغَ ذلك «أبا جَهْلٍ»، فأتاه، فقالَ: يا عمّ إنَّ قومَك يريدون أنْ يجمعوا لكَ مالًا لِيُعْطُوكَهُ؛ فإنَّك أتَيْتَ «مُحَمَّدًا» لتَعْرِضَ لِمَا قِبَلَهُ. قالَ: قد عَلِمَتْ «قُرَيْشُ» أنِّي مِن أكثرها مالًا. قالَ: فقُلْ فيه قَوْلًا يبلغُ قومَك إنَّك كارهٌ له. قالَ: وماذا أقولُ؟! **فواللهِ ما فيكم رجلٌ أعْلَمُ بالشِّعْرِ منِّي، ولا برَجَزِه، ولا بقصيدِه، ولا بأشْعَارِ الجِنِّ، واللهِ ما**

يُشْبِهُ الذي يقولُ شيْئًا مِن هذا، ووالله إنَّ لقولِه الذي يقولُ حَلَاوَةً، وإنَّ عليه لطَلَاوَةً، وإنَّه لمُثْمِرٌ أعْلَاه، مُغْدِقٌ أسْفَلُه، وإنَّه ليَعْلُو ولا يُعْلَى عليه، وإنَّه ليُحَطِّمُ ما تحتَه. قالَ: لا يرضَى عنك قومُك حتَّى تقولَ فيه. قالَ: دعني أُفَكِّرُ، فلمَّا فَكَّرَ قالَ: (هذا سِحْرٌ يُؤْثَر)؛ يُؤْثِرُهُ عن غيرِه"(٦).

إنَّ هذا الذي أوْقَفَ «الوَليدَ بنَ المُغِيرَةِ» حائرًا هو (الإعْجَازُ) نفسُه الذي أدْرَكَ منه «عمرُ بنُ الخطَّابِ» (رضي الله عنه) وَجْهًا يُناسِبُهُ حينما سَمِعَ «القُرآنَ» في بيتِ أختِه، فتهاوَى صَرْحُ الشِّرك مِن قلبِه، وتهادَى صَرْحُ الإيمانِ في كيانِه، إلى آخر ما هو مَعْلُومٌ في تاريخ دَعْوَةِ الإسلامِ.

ولا شكَّ أنَّ في ذلك سِرًّا مِن أسرارِ الفِطْرَةِ اللُّغويَّةِ التي جُبِلَ عليها هؤلاءِ القومُ المُنَزَّلُ فيهم «القُرآنُ»، والذين بلغُوا مَبْلَغًا مِن الفصاحةِ لم يُعْرَفْ في تاريخهم مِن قبلُ، "... **ولولا أنَّ «القُرآنَ الكريمَ» قد مَلَكَ سِرَّ هذه الفصاحةِ، وجاءهم منها بما لا قِبَلَ لهم بِرَدِّه، ولا حِيلَةَ لهم [لصَدِّه]– لَمَا صار أمْرُ «القُرآنِ» إلى أكثرَ مما ينتهي إليه أمْرُ كلِّ كتابٍ في الأرض**"(٧)، بل لَمَا كان له في أولئك «العرب» الأميَّة أمْرٌ البَتَّة؛ "... **فلو أنَّ هذا «القُرآنَ» غيرُ فصيحٍ، أو كانت فصاحتُه غيرَ مُعْجِزةٍ في أساليبِها التى أُلْقِيَتْ إليهم–لمَا نالَ منهم على الدَّهر مَنَالًا، ولخلا منه مَوضِعه الذى هو فيه، ثمَّ لكانت سبيلُه بينهم سبيلَ القصائدِ والخطبِ والأقاصيصِ،** وهو لم يَخْرُجْ عن كونه في الجملةِ كأنَّه موجودٌ فيهم بأكثرِ معانيهِ قبلَ أنْ يوجدَ بألفاظِه وأساليبِه، ثمَّ لَنَقَضُوهُ كلمةً كلمةً وآيةً آيةً دون أنْ تتخاذلَ أرواحُهم، أو تتراجعَ طِباعُهم، ولَكَان لهم وله شَأْنٌ غيرُ ما عُرِفَ، ولكنَّ «الله» بالغُ أمرِه، وكان أمْرُ «اللهِ» قَدَرًا مَقْدُورًا"(٨).

***

«الحروفُ المُقطَّعةُ» في ضَوْءِ قضيَّةِ التَّحدِّي والمُعاجَزة:

إنَّ «القُرآنَ» تَحَدَّى «العربَ» فأعْجَزَهم مِن جِهَةِ الفصاحةِ التى هي أكْبَرُ أمْرِهم، ومِن جِهَةِ الكلامِ الذى هو سَيِّدُ عَمَلِهم، تحدَّاهم في آياتٍ كثيرةٍ أنْ يأتوا

بمِثْلِه، أو بعضه، ثم قَرَنَ التَّحدّي بالتَّأنيبِ والتَّقريعِ[٩]، وهم أهلُ اللُّغةِ لنْ تضيقَ أساطيرُهم وعلومُهم وبلاغةُ مَنْطِقِهم عن ذلك، "... وقدْ كانَ مِن عادتِهم أنْ يَتَحَدَّى بعضُهم بعضًا في المُساجَلةِ والمُقارَضَةِ بالقَصِيدِ والخُطَبِ ثقةً مِنْهم بقُوَّةِ الطَّبْعِ"[١٠]. أمَّا "... أنْ يكونَ الكلامُ الذي يُقْصَدُ إليه بالمُعارَضةِ – كهذا «القُرآنِ» – أُحْكِمَ دقيقُه وجليلُه، وامْتَنَعَ كثيرُه وقليلُه، وأَخَذَ مَنَافِذَ الصُّنعةِ كلَّها، واسْتَبْرَأَ المعنى الذي هو فيه إلى غايتِه، وقَطَعَ على صاحبِهِ أمْرَ الخِيارِ في الوَجْهِ الذي يُعَارِضُه منه، وكان مِن وراء ذلك بابٌ واحدٌ في امتناعِه لا مَوْضِعَ فيه للتَّصفُّحِ، ولا مَغْمَزَ للثَّقافةِ، ولا مَوْرِدَ للمَقالَةِ, وقدْ توثَّقتْ علائقُه، وترادفتْ حقائقُه، وتوارتْ على ذلك دقائقُه، ثمَّ كانتْ جملتُه قدْ أحرزتْ عناصرَ الفِطْرَةِ البيانيَّةِ، وجمعتْ فنونَها، واحتوتْ مِن الكمالِ الفنّي ما كان إحساسًا صِرْفًا في نفوسِ أهلِه، يشعرون به وُجْدَانًا، ولا يقدرون على إظهارِه بيانًا، فذلك ممَّا لا سبيلَ للنَّفسِ إلى المُكَابَرةِ فيه بحالٍ مِن الأحوالِ، أو ابتغائِه بالمُعارَضةِ ومطاولتِه بالقُدْرَةِ على مِثْلِه، إذ هو بطبيعته المُعْجِزَةِ – لا ترى فيه النَّفسُ إلَّا مِثالًا للعِلْمِ تعرفُ به مِقْدَارَ ما انتهتْ إليه مِن أحكامِ العَمَلِ"[١١].

لقدْ تفرَّدَ أسلوبُ «القُرآنِ» ونَظْمُه، وتفوَّقَ على أساليبِ العربِ ونَظْمِهم، رغمَ بلاغتِهم وبُلُوغِهم الغايةَ في هذا المِضْمَارِ، **فهو على الرَّغم مِن أنَّه يتألَّفُ مِن تلك الحروفِ التي تتألَّفُ منها كلماتُهم، إلَّا أنَّ نَظْمَه ليس مِن جِنْسِ نَظْمِ كلامِهم،** فهو مُبَايِنٌ لِنَظْمِهم، مُخَالِفٌ لطَرَائقِهم، فلا يُهْتَدَى إليه فيُحْتَذَى، ولا يُتَمَكَّنُ منه فيُمَثَّل، "... فهو كتركيبِ الجواهرِ غيرِ الأجسامِ لِتصيرَ أجسامًا"[١٢].

فـ«القُرآنُ» بديعٌ في نَظْمِه، عجيبٌ في تأليفِه، مُتَنَاهٍ في بلاغتِه إلى الحدِّ الذي يُعْلَمُ معه عَجْزُ الخَلْقِ عنه، ذلك أنَّ "...نَظْمَ «القُرآنِ» –على تَصَرُّفِ وُجُوهِه، واختلافِ مَذَاهِبِه– خارجٌ عن المَعْهُودِ مِن نِظَامِ جميعِ كلامِهم، ومُبَايِنٌ للمَأْلُوفِ مِن ترتيبِ خِطابِهم، ولَه أسلوبٌ يختصُّ [به]، ويتميَّزُ في تَصَرُّفِهِ عن أساليبِ الكلامِ المُعتادِ"[١٣]، **رغم أنَّه في حقيقةِ الأمْرِ لمْ يخرجْ عن كوْنِه مِن ذاتِ كلماتِهم وحروفِهم،** وهذا هو (**سِرُّ الإعْجَازِ**).

ولعلَّ «الحروفَ المُقطَّعةَ» في أوائلِ السُّوَرِ جاءتْ لتُؤَكِّدَ هذا المعنى، وتُقَوِّيَهُ في نفوسِ هؤلاءِ القومِ المُخاطَبين بالتَّحدّي؛ قال «**قُطْرُبُ**» و«**الفَرَّاءُ**» وغيرُهما عن تلك الحروفِ: "... **هي إشارةٌ إلى «حروفِ الهجاءِ»، أَعْلَمَ «اللهُ» بها «العربَ» حين تحدَّاهم بـ«القُرآنِ» أنَّه مُؤْتَلِفٌ مِن حروفٍ هي التي منها بناءُ كلامِهم؛ ليكونَ عَجْزُهم عنه أبْلَغَ في الحُجَّةِ عليهم، إذْ لمْ يخرجْ عن كلامِهم**"[١٤].

ولهذا تجدُ أنَّ "... كلَّ سُورَةٍ افتُتِحَتْ بالحروفِ فلا بُدَّ أنْ يُذْكَرَ فيها الانتصارُ للقُرآنِ، وبيانُ إعْجَازِهِ وعظمتِه"[١٥].

يدلُّ على ذلك –أيضًا– أنَّ هذه الحروفَ قد بَدَأَ نزولُها في (**أوائلِ الوَحْيِ**) في «**سُورَةِ القلم**»[١٦] لافتةً إلى (**سِرِّ الحرفِ**)، ثمَّ كَثُرَتْ وتتابعتْ في أوَاسِطِ (**العَهْدِ المَكِّيّ**) حين بَلَغَ الجَدَلُ في «**القُرآنِ**» أشُدَّه، فعُرِضَتْ (**قضيَّةُ التَّحدّي والمُعَاجَزَة**)، وظلَّتْ آياتُ «القُرآنِ» تُعَاجِزُهم وتتحدَّاهم **أنْ يأتوا بمِثْلِه**[١٧]، أو **بعَشْرِ سُوَرٍ**[١٨]، أو **بسُورَةٍ مِثْلِه**[١٩]– إلى أوَّلِ (**العَهْدِ المَدَنِيّ**) الذي نزلتْ فيه «**آيةُ البقرة**» فحسمت الجدلَ العقيمَ، بعد أنْ ألزمَتْهم الحُجَّةَ على صِدْقِ المُعْجِزَةِ بعَجْزِهم مُجتمِعين عن **أنْ يأتوا بسُورَةٍ مِن مِثْلِه**[٢٠]...[٢١].

وكأنَّ هذه الحروفَ قد جاءتْ "... هكذا مَسْرُودَةً على نَمَطِ التَّعْدِيدِ **كالإيقاظِ وقَرْعِ العَصَا لمَن تحدّى بـ«القُرآنِ» وبغرابةِ نَظْمِه، وكالتَّحريكِ للنَّظرِ في أنَّ هذا المَتْلُوَّ عليهم، وقد عَجَزُوا عنه عن آخرِهم – كلامٌ مَنْظُومٌ مِن عيْنِ ما يَنْظِمُونَ منه كلامَهم**؛ لِيُؤَدِّيَهم النَّظرُ إلى أنْ يَسْتَيْقِنُوا أنْ لمْ تتساقطْ مَقْدِرَتُهم دونَه، ولمْ تظهرْ مَعْجَزَتُهُم عن أنْ يأتوا بمِثْلِه بعد المُراجَعاتِ المُتطاوِلةِ، وهم أمراءُ الكلامِ وزعماءُ الحوارِ، وهم الحُرَّاصُ على التَّسَاجُلِ في اقتضابِ الخُطَبِ، والمُتهالِكون على الافتنانِ في القصيدِ والرَّجَزِ ...– **إلَّا لأنَّه ليسَ بكلامِ البَشَرِ، وأنَّه كلامُ خَالِقِ القُوَى والقَدَرِ** (سبحانه وتعالى)"[٢٢] – كما قالَ «**الزَّمَخْشَرِيُّ**» (رحمه الله).

وأقولُ: هذا القولُ وإنْ كانَ **أقربَ ما يكونُ إلى طبيعةِ الكتابِ العربيّ المُبينِ في إعْجَازِ بيانِه** – على حَدِّ قولِ الدُّكتورة «**عائشة عبدالرَّحمن**»[٢٣]– فإنَّه لمْ يَسْلَمْ

مِن مُعارِضٍ، شَأْنُه في ذلك شَأْنُ كلِّ ما قيلَ مِن الآراءِ حولَ «**الحروفِ المُقطَّعةِ**»، **فقدْ تشعَّبت الآراءُ، وتباينت المذاهبُ، وتعدَّدت الأفكارُ حولَ تلك الحروفِ، بحيثُ إنَّك لا تكادُ تجدُ أحَدًا استقامَ له رَأْيٌ إلَّا وتجدُ آخَرَ قدْ مَحَى له ذلك الرَّأْيَ، ولا تجدُ أحَدًا استقرَّ له مَقامٌ إلَّا وتجدُ آخَرَ قدْ أقامَ له فيه اعتراضًا أحَالَه دونَ مَقامِه، حتَّى صارَ البحثُ عن معاني تلك الحروفِ وعن وَجْهِ الإعْجَازِ فيها هو بذاتِه وَجْهَ الإعْجَازِ**"... إذ الحيرةُ في الثباتِ على حقيقةِ أمْرٍ بُرهانُ العَجْزِ عن الوصولِ إلى هذه الحقيقةِ"[٢٤].

وهذا هو الإعْجَازُ كما يراه العلماءُ، فـ(**الإعْجَازُ**) قرينُ (**العَجْزِ**)، و(**العَجْزُ**) نقيضُ (**الحَزْمِ**)؛ [قال] «ابنُ الأعْرَابِيِّ»: "**عَجَّزَ فُلَانٌ رَأْيَ فُلَانٍ إذا نَسَبَهُ إلى خِلَافِ الْحَزْمِ، كَأَنَّهُ نَسَبَهُ إلى الْعَجْزِ، ويقال: أَعْجَزْتُ فُلَانًا إذا أَلْفَيْتَهُ عَاجِزًا**"[٢٥]. فإذا وجد الباحثُ عن معنى هذه الحروفِ نفسَه **حَائِرًا** بيْن الآراءِ، **عَاجِزًا** عن الوصولِ إلى معنى حَازِمٍ [يقينيٍّ] حولها– **أيْقَنَ** بمَعْجَزَتِهِ، و**أدْرَكَ** وَجْهَ الإعْجَازِ فيها.

***

«الحُرُوفُ المُقَطَّعَةُ» بَيْنَ الخَوْضِ والتَّفْوِيضِ:

اختلفتْ أقوالُ المفسِّرين حول «**الحروفِ المُقطَّعةِ**»، وتعددتْ مشاربُهم، وتباينتْ مذاهبُهم؛ هم في ذلك على مذهبين تفرَّعتْ دونهما مذاهبُ كثيرةٌ[٢٦]:

المَذْهَبُ الأوَّلُ: مَذْهبُ «التَّفْوِيضِ والتَّسْلِيمِ»[٢٧]: يرى أصحابُ هذا المَذْهَبِ أنَّها مِن **العلمِ المستورِ والسرِّ المحجوبِ**، وأنَّها مِن المُتشابِهِ؛ مِن ذلك النوعِ الذي لا يَعْلَمُ تأويلَه إلَّا «**اللهُ**» (عزَّ وجلَّ)، فلا ينبغي لأحَدٍ أنْ يَتَكَلَّمَ فيها، بل يُؤْمِنُ بها، ويُمَرِّرُها كما جاءتْ، ويَكِلُ العلمَ بمعانيها ووجهِ الحكمةِ فيها إلى «**اللهِ**» (سبحانه).

المَذْهَبُ الثَّانِي: مَذْهَبُ «الخَوْضِ والتَّنْقِيبِ»[٢٨]: يرى أصحابُ هذا المَذْهَبِ المَذْهَبِ أنَّها معلومةُ المعاني، وليستْ ممَّا استأثرَ «**اللهُ**» بعلمِه، فهي ليستْ مِن المُتشابِهِ، بل هي مِن المُحْكَمِ، أوْ مِن المُتشابِهِ مِن ذلك النوعِ الذي يَعْلَمُه

«**الراسخونَ في العلمِ**»، ومنْ ثَمَّ يجبُ أنْ يُتَكَلَّمَ فيها، وتُلْتَمَسَ الفوائدُ التي تحتها، والمعاني التي تتخرَّجُ عليها؛ إذْ "لا يجوزُ أنْ يَرِدَ في كتابِ «**اللهِ**» (تعالى) ما لا يكونُ مَفْهُومًا للخَلْقِ"(٢٩).

***

أدِلَّةُ أصْحَابِ المَذْهبِ الأوَّلِ:

استدلَّ أصْحَابُ المَذْهبِ الأوَّلِ مَذْهبِ«**التَّفْوِيضِ والتَّسْلِيمِ**» بالآيَةِ والخَبَرِ والمَعْقُولِ.

أمَّا استدلالُهم بالآيَةِ؛

فمِن جهةِ أنَّهم **يرونَ أنَّ «الحروفَ المقطَّعةَ» مِن المُتشابِهِ، والمُتشابِهُ – عندهم– غيرُ مَعْلُومٍ**؛ لقولِه (تعالى):﴿**وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ**﴾(٣٠)، إذْ يرونَ أنَّ الوَقْفَ –ههنا– واجبٌ، وأنَّ قولَه (سبحانه): ﴿**وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ**﴾ مُسْتَأْنَفٌ؛ لوُجُوهٍ ذَكَرَها الإمامُ «**الفخرُ الرَّازِي**» في تفسيرِه؛

- **أحدها** : أنَّ قولَه (تعالى): ﴿**وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ**﴾ لوْ كانَ مَعْطُوفًا على قولِه: ﴿**إِلَّا ٱللَّهُ**﴾ لَبَقِيَ قولُه: ﴿**يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ**﴾ مُنْقَطِعًا عنه، وإنَّه غيْرُ جَائِزٍ؛ لأنَّه وحده لا يُفيدُ، لا يُقالُ أنَّه (حالٌ)؛ لأنَّا نقولُ حينَئذٍ بأنَّه يرجعُ إلى كلِّ ما تقدَّم، فيَلْزَم أنْ يكونَ اللهُ (تعالى) قائلًا: ﴿**ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا**﴾، وهذا كُفْرٌ.
- وثانيها: أنَّ «**الرَّاسخين في العِلْمِ**» لو كانوا عالِمين بتأويلِه لَمَا كانَ لتخصيصِهم بالإيمانِ به وَجْهٌ، فإنَّهم لَمَّا عرِفوه بالدَّلالةِ لمْ يَكُن الإيمانُ به إلَّا كالإيمانِ بالمُحْكَمِ، فلا يكونُ فى الإيمانِ به مَزِيدُ مَدْحٍ.
- وثالثها: أنَّ تأويلَها لو كان مِمَّا يجبُ أنْ يُعْلَمَ لَمَا كانَ طلبُ ذلك التَّأويلِ ذَمًّا، لكنْ قد جعلَه اللهُ (تعالى) ذَمًّا؛ حيثُ قال: ﴿**فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ**﴾(٣١)..."(٣٢).

وأمَّا استدلالُهم بالخَبَرِ؛

- فمِنه ما رُوِيَ عن «**أبي بَكْرٍ الصِّدّيقِ**» (رضي الله عنه) أنَّه قالَ: "**للهِ في كلِّ كتابٍ سِرٌّ، وسِرُّ اللهِ في «القُرآنِ» أوائلُ السُّوَرِ**"(٣٣). وقد رُوِيَ هذا الأثَرُ عن «**عَلِيّ بنِ أبي طَالِبٍ**» (رضي الله عنه)(٣٤)، ورُوِيَ عنه – أيضًا– أنَّه قالَ: "**إنَّ لكلِّ كتابٍ صَفْوَةً، وصَفْوَةُ هذا الكتابِ «حروفُ التَّهجّي»**"(٣٥).
- وقد **ذكر** «أبو اللَّيْثِ السَّمَرْقَنْدِيّ» عن «**عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ**»، وعن «**عُثْمَانَ بنِ عَفَّانَ**»، وعن «**عَبْدِ اللهِ بنِ مَسْعُودٍ**» (رضي الله عنهم أجمعين) أنَّهم قالوا: "**«الحروفُ المُقطَّعةُ» مِن المَكْتُومِ الذي لا يُفَسَّرُ**"(٣٦).
- وقد نَقَلَ الإمامُ «محمَّد رشيد رضا» (رحمه الله) في تفسيره عن «أهلِ الأثَرِ» عن «**الخلفاءِ الأربعةِ**» و«**ابنِ مَسْعُودٍ**» "**أنَّ هذه الحروفَ ممَّا استأثَرَ اللهُ بعِلمِه**"(٣٧).
- **ورَوَى** «ابنُ ظبْيَانَ» عن «**ابنِ عبَّاسٍ**» (رضي الله عنهما) أنَّه قال: "**عَجَزت العُلماءُ عن إدْرَاكِها**"(٣٨).

هذا؛ ويقول «الرَّازي» (رحمه الله): "القولُ بأنَّ هذه الفواتحَ غيرُ مَعْلُومَةٍ مَرْوِيٌّ عن **أكابرِ الصَّحابةِ**، فوَجَبَ أنْ يكونَ حقًّا؛ لقوله (عليه السَّلام): **{أَصْحَابِي كَالنُّجُومِ بِأَيِّهِمُ اقْتَدَيْتُمْ اهْتَدَيْتُمْ}**(٣٩).."(٤٠).

وقدْ رُوِيَ عن **جماعةٍ مِن التَّابعين** مِثْلُ ذلك؛

- قالَ «**الشِّعْبِيُّ عَامِرُ بنُ شَرَاحِيلَ**» و«**سُفْيَانُ الثَّورِيُّ**» وجماعةٌ مِن المُحَدِّثِين عن «**الحروفِ المُقطَّعةِ**»: "**... هي سِرُّ اللهِ في «القُرآنِ»، وهي مِن المُتشابِه الذي انفردَ اللهُ بعِلمِه، ولا يجبُ أنْ يُتَكَلَّمَ فيها، ولكنْ يُؤْمَنُ بها، وتُمَرُّ كما جاءتْ**"(٤١).
- **وسُئِلَ** «**الشِّعْبِيُّ**» عن هذه الحروفِ، فقالَ: "**سِرُّ اللهِ، فلا تطلبُوه**"(٤٢).
- **وأخرجَ** «ابنُ المُنْذِرِ» و«أبو الشَّيْخِ بنُ حِبَّانَ» في «التَّفسيرِ» عن «**دَاوُدَ أبي هِنْد**» قالَ: كنتُ أسْألُ «**الشِّعْبِيَّ**» عن «**فواتحِ السُّوَرِ**»، فقالَ: "**يا «دَاوُدُ» إنَّ لكلِّ كتابٍ سِرًّا، وإنَّ سِرَّ هذا «القُرآنِ» فواتحُ السُّوَرِ، فدَعْها، وسَلْ عمَّا بَدَا لك**"(٤٣).
- وقال «**الحُسَيْنُ بنُ الفَضْلِ**»: "[هي] **مِن المُتشابِه**"(٤٤).

• وقال «**أبو حَاتِم**»: "**لمْ نجد «الحروفَ المُقطَّعةَ» في «القُرآنِ» إلَّا في أوائلِ السُّوَرِ، ولا ندري ما أرادَ اللهُ (جلَّ وعزَّ) بها**"(٤٥). وغيرُ ذلك مِن الرِّواياتِ كثيرٌ، وفيما ذكرتُه كِفَايَةٌ، ولِمُسْتَزِيدٍ أنْ يُراجِعَ ذلك في مَظانِّه(٤٦).

وأمَّا استدلالُهم بالمَعْقُولِ؛

فقِيَاسٌ على أفْعَالِ المُكَلَّفِينَ، فكما أنَّ فيها ما نعرفُ وَجْهَ الحِكْمَةِ فيه؛ كـ(الصَّلاةِ والزَّكاةِ والصَّومِ)، ففيها كذلك ما لا نعرفُ وَجْهَ الحِكْمَةِ فيه؛ كـ(أفْعَالِ الحجِّ)، وكما يَحْسُنُ مِن «الله» (تعالى) أنْ يَأْمُرَ عبادَه بـ(النَّوعِ الأوَّلِ)، فكذلك يَحْسُنُ الأمْرُ مِنْه (سبحانه) بـ(النَّوعِ الثَّاني)؛ فإنَّه يدلُّ على كمالِ الانقيادِ والتَّسْليمِ. كذلك الأقوالُ أَمَرَنَا «اللهُ» (تعالى) تارةً أنْ نتكلَّمَ بما نَقِفُ على معناه، وتارةً بما لا نَقِفُ على معناه، ويكون المقصودُ مِن ذلك ظهورَ الانقيادِ والتَّسليمِ مِن المَأْمُورِ للآمِرِ (جلَّ في علاه)؛ يقول «**الرَّازِي**» (رحمه الله): "الأفْعَالُ التي كُلِّفْنَا بها قسمان: مِنْها ما نعرفُ وَجْهَ الحِكْمَةِ فيها على الجُمْلَةِ بعُقولِنا؛ كـ(**الصَّلاةِ والزَّكاةِ والصّومِ**)؛ فإنَّ الصَّلاةَ تَوَاضِعٌ مَحْضٌ وتضَرُّعٌ للخالِق [سبحانه]، والزَّكاةَ سَعْيٌ في دَفْعِ حاجةِ الفقيرِ، والصَّومَ سَعْيٌ في كَسْرِ الشَّهْوَةِ. ومنها ما لا نعرفُ وَجْهَ الحِكْمَةِ فيه؛ كـ(**أفْعَالِ الحجِّ**)؛ فإنَّنا لا نعرفُ بعُقولِنا وَجْهَ الحِكْمَةِ في (**رَمْي الجَمْرَاتِ، والسَّعْي بيْن الصَّفا والمَرْوَة، والرَّمَلِ، والاضْطِبَاعِ**)، ثمَّ اتَّفقَ المُحقِّقون على أنَّه كما يَحْسُنُ مِن اللهِ (تعالى) أنْ يَأْمُرَ عبادَه بـ(النَّوعِ الأوَّلِ)، فكذا يَحْسُنُ الأمْرُ مِنْه بـ(النَّوعِ الثَّاني)؛ لأنَّ الطَّاعةَ في (النَّوعِ الأوَّلِ) لا تدلُّ على كمالِ الانقيادِ؛ لاحتمالِ أنَّ المَأْمُورَ إنَّما أَتَى به لِمَا عَرِفَ بعَقلِه مِن وَجْهِ المَصْلَحَةِ فيه، أمَّا الطَّاعةُ في (النَّوعِ الثَّاني)؛ فإنَّها تدلُّ على كمالِ الانقيادِ ونهايةِ التَّسليمِ؛ لأنَّه لَمَّا لمْ يعرفْ فيه وَجْهَ مَصْلَحَةٍ البَتَّة لمْ يَكُنْ إتيانُه به إلَّا لمَحْضِ الانقيادِ والتَّسليمِ، فإذا كان الأمْرُ كذلك في الأفْعَالِ فلِمَ لا يجوزُ – أيضًا– أنْ يكونَ الأمْرُ كذلك في الأقْوَالِ؟ وهو أنْ يَأْمُرَنا اللهُ (تعالى) تارةً أنْ نتكلَّمَ بما نَقِفُ على معناه، وتارةً بما لا نَقِفُ على معناه، ويكون المقصودُ مِن ذلك ظهورَ الانقيادِ والتَّسليمِ مِن المَأْمُورِ للآمِرِ، بلْ فيه فائدةٌ

أُخْرَى، وهي **أنَّ الإنسانَ إذا وَقَفَ على المعنى وأحَاطَ به سَقَطَ وَقْعُه عن القلبِ، وإذا لم يَقِفْ على المقصودِ مع قَطْعِه بأنَّ المُتَكَلِّمَ بذلك أحْكَمُ الحَاكِمِين فإنَّه يَبْقَى قلبُه مُلْتَفِتًا إليه أبَدًا، ومُتَفَكِّرًا فيه أبَدًا. ولُبَابُ التَّكليفِ إشْغَالُ السِّرِّ بذِكْرِ اللهِ (تعالى)، والتَّفكُّرِ في كلامِه**، فلا يَبْعُدُ أنْ يَعْلَمَ اللهُ (تعالى) أنَّ في بقاءِ العبدِ مُلْتَفِتَ الذِّهْنِ مُشْتَغِلَ الخَاطِرِ بذلك أبَدًا مَصْلَحَةً عظيمةً له، فيتعبَّده بذلك تحصيلًا لهذه المَصْلَحَة"(٤٧).

***

مُنَاقَشَةُ أدِلَّةِ أصْحَابِ المَذْهبِ الأوَّلِ:

أمَّا الآيةُ؛ فإنَّ وجوبَ الوَقْفِ على لفظِ الجلالةِ غيْرُ مُسَلَّمٍ به عند كثيرٍ مِن مُتأخِّري المُفسِّرين، وإنْ كان مَوْضِعَ اتِّفاقٍ عند المُتقدِّمين منهم(٤٨)، ومَرْجِعُ الخلافِ –ههنا– إلى الاختلافِ في معنى **(المُتشابِهِ)**(٤٩)؛ يقول الحافظُ «**ابنُ كَثِيرٍ**» (رحمه الله): "... قولُه (تعالى): ﴿**وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ**﴾(٥٠) – اختلفَ القُرَّاءُ في الوَقْفِ –ههنا– ، فقيلَ: على [لفظِ] الجلالةِ،...، ويُرْوَى هذا القولُ عن «**عَائِشَةَ**» و«**عُرْوَةَ**» و«**أبي الشَّعْثاء**» و«**أبي نَهِيك**» وغيرِهم،...، ومنهم مَن يَقِفُ على قولِه:﴿**وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ**﴾، وتَبِعَهم كثيرٌ مِن المُفسِّرين وأهلِ الأصولِ، وقالوا: الخطابُ بما لا يُفْهَمُ بعيدٌ،...، ومِن العلماءِ مَن فصَّل في هذا المَقامِ، وقالَ: التَّأويلُ يُطْلَقُ، ويُرادُ به في «القُرآنِ» معنيان: أحدُهما: **التَّأويلُ بمعنى حقيقةِ الشَّيْءِ وما يَؤُولُ أمْرُه إليه**، ومنه قولُه (تعالى): ﴿**وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَايَ مِن قَبۡلُ**﴾(٥١)، وقولُه: ﴿**هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأۡوِيلَهُۥۚ يَوۡمَ يَأۡتِي تَأۡوِيلُهُۥ**﴾(٥٢)؛ أي: حقيقة ما أُخْبِرُوا به مِن أمْرِ المَعَادِ، فإنْ أُريدَ بالتَّأويلِ هذا، فالوَقْفُ على [لفظِ] الجلالةِ؛ لأنَّ حقائقَ الأمورِ وكُنْهَها لا يَعْلَمُه على الجَلِيَّة إلَّا اللهُ (عزَّ وجلَّ)،...، وأمَّا إنْ أُريدَ بالتَّأويلِ المعنى الآخر، وهو **التَّفسيرُ والبيانُ والتَّعبيرُ عن الشَّيْءِ** كقولِه: ﴿**نَبِّئۡنَا بِتَأۡوِيلِهِۦٓ**﴾(٥٣)؛ أي: بتفسيرِه– فإنْ أُريدَ به هذا المعنى، فالوَقْفُ على ﴿**وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ**﴾؛ لأنَّهم

يعلمون ويفهمون ما خُوطِبُوا به بهذا الاعتبارِ، وإنْ لم يحيطوا عِلْمًا بحقائقِ الأشياءِ على كُنْهِ ما هي عليه"[٥٤]. وعليه؛ فإنَّ القولَ بوجوبِ الوَقْفِ لا يَسْلَمُ مِن مُعَارِضٍ.

وأمَّا مِن جِهَةِ ما ذُكِرَ مِن أوْجُهِ وُجُوبِ الوَقْفِ؛ ففيه نَظَرٌ، فأمَّا الوَجْهُ الأوَّلُ – وهو امتناعُ العطفِ؛ لأنَّ قولَه ﴿يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾[٥٥] يكون حالًا راجعًا للمعطوفِ والمعطوفِ عليه كذلك، وهذا كُفْرٌ – فإنَّه مَرْدُودٌ بمَوَاضِعَ وَرَدَتْ في «القُرآنِ» جاء الحالُ فيها راجعًا إلى المعطوفِ دونَ المعطوفِ عليه؛ منها قولُه (تعالى):﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾[٥٦]، فقولُه:﴿صَفًّا صَفًّا﴾حالٌ مِن المعطوفِ، وهو (**الْمَلَكُ**)، دونَ المعطوفِ عليه، وهو لفظُ (**رَبُّكَ**)، فهل قال أحَدٌ – ههنا – أنَّ العطفَ مُمْتَنِعٌ؛ لأنَّ الحالَ تعودُ حينئذٍ على المعطوفِ والمعطوفِ عليه معًا؟!

وأمَّا الوَجْهُ الثَّاني – وهو أنَّ الرَّاسخِين في العِلم لو كانوا عالِمين بتأويلِه لَمَا كان لتخصيصِهم بالإيمانِ به وَجْهٌ – فإنَّه مَعْلُولٌ بأنَّ مَدْحَهم مع جَهْلِهم يُنافي كَوْنَهم راسخِين في العِلمِ، إذْ أنَّ وَصْفَهم بأنَّهم راسخِين في العِلمِ يقتضي مزيدَ علمٍ يمتازون به عن عُمُومِ النَّاسِ، فمُجَرَّدُ الإيمانِ يشتركُ فيه الجميعُ، أمَّا الإيمانُ مع العِلم فمُخْتَصٌّ به أهلُ الرُّسوخِ في العِلمِ، وهذا أَوْجَهُ؛ يقولُ «**ابنُ قُتَيْبَةَ**» (رحمه الله): "ولوْ لمْ يَكُنْ للرَّاسخِين في العِلمِ حظٌّ في المُتشابِه إلَّا أنْ يقولوا: ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾[٥٧] لمْ يَكُنْ للرَّاسخِين فَضْلٌ على المُتعلِّمين، بل على جَهَلَةِ المُسلِمين؛ لأنَّهم جميعًا يقولون: ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾..."[٥٨].

ثمَّ إنَّ **عِلْمَهم بالمُتشابِه لا يُنافي حقيقةَ الإيمانِ**، بلْ هو زيادةٌ فيه، ثمَّ كيفَ يمكنُهم أنْ يردُّوه على المُحْكَمِ وهم غيرُ عالِمين شَيْئًا عنه! ويؤيدُ هذا ما رُوِيَ عن «**مُجَاهِدٍ**» (رحمه الله) في قولِه (تعالى): ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾ – أنَّه قال: "يعلمون تأويلَه، و﴿يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾"[٥٩].

هذا، وقد رُوِيَ عن بعضِ السَّلفِ أنَّه يعلمُ تأويلَ المُتشابِهِ؛ فعن «**ابنِ عبَّاسٍ**» (رضي الله عنهما) قال: "**أنا ممَّن يَعْلَمُ تأويلَه**"[٦٠]؛ يعني: المُتشابِه.

وهذا ما بَنى عليه كثيرٌ مِن أهلِ العلمِ مذهبَه في (المُتشابِه)؛ فهذا «**ابنُ قُتَيْبَةَ**» (رحمه الله) يقول: "**ولسنا ممَّن يزعمُ أنَّ المُتشابِهَ في «القُرآنِ» لا يعلمُه «الرَّاسخون في العِلمِ»**. وهذا غَلَطٌ مِن مُتأوِّليهِ على اللُّغةِ والمعنى، **ولَمْ يُنَزِّلْ اللهُ شيْئًا مِن «القُرآنِ» إلَّا لينفعَ به عبادَه، ويدلَّ به على معنًى أرادَه**. فلو كانَ المُتشابِهُ لا يعلمُه غيرَه لَلَزِمَنَا للطَّاعنِ مَقَالٌ، وتعلَّقَ علينا بعِلَّةٍ"[٦١].

وفي السياقِ نفسِه يتساءلُ (رحمه الله)؛ فيقول: "وهلْ يجوزُ لأحَدٍ أنْ يقولَ: إنَّ رسولَ اللهِ (صلَّى الله عليه وسلَّم) لم يكنْ يعرفُ المُتشابِهَ؟! وإذا جازَ أنْ يعرفَه مع قولِ «اللهِ» (تعالى): ﴿وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾[٦٢] جازَ أنْ يعرفَه الربَّانيُّون مِن صحابتِه، فقدْ علَّمَ «عَلِيًّا» التَّفسيرَ، ودَعَا لِـ«ابنِ عَبَّاسٍ» فقالَ (صلَّى الله عليه وسلَّم): **{اللَّهُمَّ عَلِّمْهُ التَّأْوِيلَ، وَفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ}**[٦٣]..."[٦٤].

أقولُ: **هذا الكلامُ وإنْ كانَ صحيحًا في نفسِه إلَّا أنَّه لا ينسحبُ على كلِّ ما جاءَ في «القُرآنِ» مِن المُتشابِه، فإنَّ مِن المُتشابِه ما يمكنُ الوقوفُ على معناه، وهو المقصودُ ههنا، ومنه ما لا يمكنُ لأحَدٍ الوقوفُ على حقيقةِ معناه حتَّى النَّبِيّ** (صلَّى الله عليه وسلَّم)، مِن ذلك قولُ «اللهِ» (تعالى): ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا﴾[٦٥]، وقولُه (سبحانه): ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرۡسَىٰهَا ۝٤٢ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكۡرَىٰهَآ ۝٤٣ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ﴾[٦٦]، فمِثْلُ ذلك لا يمكنُ لأحَدٍ أنْ يَقِفَ على حقيقةِ معناه، وإنْ كانَ مَعْلُومًا مِن جِهَةِ التَّفسيرِ.

يدلُّ على ذلك الفَهْمِ قولُ «**ابنِ قُتَيْبَةَ**» في السِّياقِ نفسِه ردًّا على مَن زَعَمَ مِن المُفسِّرين أنَّ في «القُرآنِ» ما لا يُعلَم تأويلُه، يقولُ (رحمه الله): "... **فإنَّا لَمْ نَرَ المُفسِّرين توقَّفوا عن شيْءٍ مِن «القُرآنِ»؛ فقالوا: هذا مُتشابِهٌ لا يعلمُه إلَّا اللهُ، بلْ أمَرُّوه كلَّه على التَّفسيرِ، حتَّى فسَّرُوا «الحروفَ المُقطَّعةَ» في أوائلِ السُّوَرِ، مثل: ﴿الٓر﴾ و﴿حمٓ﴾ و﴿طه﴾ وأشباه ذلك...**"[٦٧]ا.هـ.

ويُؤكِّده – أيضًا– أنَّك تَجِدُ بعضًا مِن المُفسِّرين مِمَّن نصَّ على اختيارِه أنَّ هذه الحروفَ مِن المُتشابِهِ– تَجِدُهُ وقدْ خاضَ في بيانِ معانيها مُرَجِّحًا بين تلك

المعاني، فدلَّ ذلك على **أنَّ المُتشابِهَ عندهم يعلمُ «الرَّاسِخون في العِلم» تأويلَه، وإنْ لمْ يُمْكِنْهم الوقوفُ على حقيقةِ معناه**، وهذا يُخْرِجُنا عن القولِ بالتَّنَاقُضِ.

هذا إذا اعتبرتَ هذه الحروفَ مِن المُتشابِهِ. أَمَا وقدْ أخرجَها بعضُ المُفسِّرين مِن دائرةِ المُتشابِهِ فلستَ بحاجةٍ –إذا أخذتَ بهذا الرَّأيِ– إلى مِثْلِ هذا التَّوجيهِ؛ لأنَّ الاستشهادَ بهذه الآيةِ يكونُ عندئذٍ مَعْلُولًا بأنَّ «الحروفَ المُقطَّعةَ» غيرُ داخلةٍ في عُمُومِ هذه الآيةِ، فهذا «**القُرْطُبِيُّ**» –بعد أنْ ذَكَرَ الرَّأيَ القائلَ بأنَّ هذه الحروفَ مِن المُتشابِهِ الذي انفردَ «**اللهُ**» (تعالى) بعِلمِه– يقولُ (رحمه الله): "ومِن هذا المعنى ما ذكرَه «**أبو بَكْرٍ الأَنْبَارِيُّ**» –بسندِه– عن «**الرَّبِيعِ بنِ خُثَيْمٍ**» قال: "إنَّ «**اللهَ**» (تعالى) أنزلَ هذا «**القُرآنَ**»، فاستأثرَ منه بعِلمِ ما شاءَ، وأطْلَعَكم على ما شاءَ، فأمَّا ما استأثرَ به لنفسِه فلَسْتُم بنائِلِيهِ، فلا تسألوا عنه، وأمَّا الذي أطْلَعَكم عليه فهو الذي تسألون عنه، وتُخْبِرُون به، ومَا بكُلِّ «القُرآنِ» تعلمون، ولا بكُلِّ ما تعلمون تعملون. قال «**أبو بَكْرٍ**»: "**... فهذا يوضِّحُ أنَّ حروفًا مِن «القُرآنِ» سُتِرَتْ معانيها عن جميعِ العَالَمِ، اختبارًا مِن «اللهِ» (عزَّ وجلَّ) وامتحانًا، فمَن آمَنَ بها أُثِيبَ وسَعِدَ، ومَن كَفَرَ وشَكَّ أَثِمَ وبَعُدَ**"[٦٨]. قال «**القُرْطُبِيُّ**»–مُعَلِّقًا على هذا القولِ: "**... هذا القولُ في المُتشابِهِ وحُكْمِه، وهو الصَّحيحُ على ما يأتي بيانُه في «آل عمران» إنْ شاءَ «اللهُ» (تعالى)...**"[٦٩]، ثمَّ ذَكَرَ الرَّأيَ الآخرَ القائلَ بأنَّ «**الحروفَ المُقطَّعةَ**» مَعْلُومَةُ المعنى، فقالَ:"**... وقالَ جَمْعٌ مِن العُلماءِ كبيرٌ: بلْ يجبُ أنْ نتكلَّمَ فيها، ونلتمسَ الفوائدَ التي تحتها، والمعاني التي تتخرَّج عليها، واختلفوا في ذلك على أقوالٍ عديدةٍ**"[٧٠]، ثمَّ شَرَعَ (رحمه الله) في بيانِ هذا الاختلافِ.

وصنيعُ «**القرطبيِّ**» هذا يدلُّ على أنَّه يرى أنَّ المُتشابِهَ هو ما استأثرَ «اللهُ» (تعالى) بعِلمِه، لكنَّه في الوقتِ نفسِه **يرى أنَّ «الحروفَ المُقطَّعةَ» غيرُ داخلةٍ في جُمْلَةِ المُتشابِهِ، بل هي عنده مِن المُحْكَمِ** الذي يجبُ أنْ يَتَكَلَّمَ العُلماءُ فيه استيضاحًا لمعانيه، والتماسًا لفوائدِه حتَّى يَعْتَبِرَ النَّاسُ به.

وعليه؛ فإنَّ **الاختلافَ بيْن العُلماءِ واقِعٌ مِن جِهَتَيْن:**

- **أولاهما:** هل هذه الحروفُ مِن المُتشابِهِ؟
- **وثانيهما:** إنْ كانتْ مِن المُتشابِهِ؛ فهلْ هي مِن ذلك النَّوعِ الذي استأثرَ «**اللهُ**» (تعالى) بعِلمِه، أمْ أنَّها مِن النَّوعِ الآخرِ الذي يعلمُه «الرَّاسِخون في العِلمِ»؟

والذي عليه الجُمْهُورُ أنَّها مِن المُتشابِهِ مِن ذلك النَّوعِ الذي يعلمُه الرَّاسِخون، بدليلِ أنَّك لا تكادُ تجدُ مُفسِّرًا إلَّا وقدْ خاضَ في بيانِ معانى تلك الحروفِ، حتَّى بعض هؤلاء الذين قالوا إنَّها مِن المُتشابِهِ. وهذا ما يُؤكِّدُ أنَّ المُتشابِهَ عندهم لا يعني ذلك النَّوعَ "... المُغْلَقَ الذي عُمِّيَتْ سُبُلُه، وطُمِسَتْ مَعَالِمُ الفَهْمِ منه، إنَّما هو ما احتملَ أكثرَ مِن وَجْهٍ مِن وجوهِ الرَّأيِ والنَّظرِ،...،وذلك خلافُ (المُحْكَمِ) الذي لا يحتملُ إلَّا قولًا واحدًا، ولا تتباعدُ فيه المَسَافاتُ بين مَطارِحِ النَّظرِ"(٧١).

وقدْ بذلَ العُلماءُ جُهُودًا كبيرةً للوقوفِ على معنى المُحْكَمِ والمُتشابِهِ والفَرْقِ بينها، وليس هذا مَوْضِعَ التَّفصيلِ فيه(٧٢). **والمقصودُ–ههنا– في آيةِ «آل عمران» أنَّ حقيقةَ التَّأويلِ لا يعلمُها إلَّا اللهُ (جلَّ جَلالُه)، وهذا هو ما يقتضيهِ الوقفُ على لفظِ الجَلالةِ في الآيةِ، وأمَّا مُحاوَلةُ الوقوفِ على المعنى فليسَ بمَحْظُورٍ، بلْ هو داخلٌ في دائرةِ الإمكانِ لمَن رَسُخَ عِلمُه، وحَسُنَ قَصْدُه، فاستحقَّ مِن «الله» مَدْحُه، وهذا ما يقتضيه الوقفُ على قولِه (تعالى):** ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ﴾(٧٣).

وهناك فَرْقٌ بيْن تفسيرِ كلامِ اللهِ (تعالى) أو تأويلِه، وبيْن إتيانِ حقيقةِ تأويلِه، "فالأوَّلُ: **مَعْرِفَةُ الخَبَرِ**، والثَّاني: هو **نَفْسُ وُقُوعِ المُخْبَرِ به**"(٧٤)، وشتَّانَ ما بينهما، فمَعْرِفَةُ الخَبَرِ هو **مَعْرِفَةُ تفسيرِه**، ومَعْرِفَةُ المُخْبَرِ به هو **حقيقةُ تأويلِه** التي لا يعلمُها إلَّا «**اللهُ**» (جلَّ في علاه)(٧٥).

وأمَّا الوَجْهُ الثَّالثُ مِن أوْجُهِ وُجُوبِ الوَقْفِ – وهو أنَّ **(تأويلَها لو كانَ ممَّا يجبُ أنْ يُعْلَمَ لمَا كانَ طلبُ ذلك التَّأويلِ ذمًّا)**؛ فإنَّه يتوجَّه بالآيةِ ذاتِها، فإنَّها عبَّرتْ عن وَجْهِ الذَّمِّ في طلبِ التَّأويلِ، وهو (القَصْدُ)؛ قالَ (تعالى): ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦ﴾(٧٦)، فبيَّنَ (سبحانه) أنَّ هؤلاءِ

إنَّمَا قَصَدُوا إلى تأويلِ المُتشابِهِ ﴿ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ﴾، وذلك بتسخيرِه لخدمةِ مذاهبِهم الفاسِدةِ، ومُعْتَقَدَاتِهم الباطِلةِ، ﴿وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ﴾؛ أي: مَعْرِفَة عيْنِ الحقائق المُخْبَرِ بها، وهذا بالتَّأكيدِ لا يعلمُه إلَّا «اللهُ» (جلَّ جَلالُه)، ولذلك ذمَّهم الحقُّ (سبحانه) في الآيةِ الكريمةِ. أمَّا «**الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ**»؛ فليسُوا كذلك، إذْ **همْ أهلُ اليقينِ الثَّابتِ الذي لا دَغَلَ فيه ولا اضْطِرَابَ**، و«اللهُ» (تعالى) يفيضُ عليهم **(فَهْمَ المُتشابِهِ) بما يتَّفقُ مع (فَهْمِ المُحْكَمِ)**، ومُحَالٌ أنْ يستويَ «**الرَّاسِخون في العِلمِ**» مع «**أهلِ الزَّيْغِ**» في الحُكْمِ؛ قالَ (تعالى): ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾(٧٧).

قدْ يسألُ سائلٌ؛ فيقول: قلتَ –ههنا– إنَّ «اللهَ» قدْ ذمَّ «**أهلَ الزَّيْغِ**» لادِّعائِهم مَعْرِفَةَ عيْنِ الحقائِق، ومَدَحَ «**الرَّاسِخين في العِلمِ**» لِمَعْرِفَتِهم بالتَّأويلِ مِن جِهَةِ مَعْرِفَةِ الخَبَرِ لا عيْن المُخْبَرِ به، فكيفَ يصحُّ وُجُودُ مَدْحٍ وذمٍّ في مَوْضِعٍ واحدٍ؟! بلْ كيف يصحُّ وُجُودُ مَقْصُودَيْنِ لكَلِمَةٍ واحدةٍ؟! فإنَّ كَوْنَ التَّأويلِ المَذْمُومِ في قولِه (سبحانه):﴿وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ﴾ هو ادِّعاءُ مَعْرِفَةِ عيْنِ الحقائِق المُخْبَرِ بها– يستلزمُ أنْ يكونَ المَنْفِيُّ في قولِه(جلَّ شأنُه): ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ﴾ هو نَفْسُ المعنى؟!

قلتُ: إنَّ الكلامَ لا ينبغي أنْ يُفْهَمَ مَعْزُولًا عن سياقِه، فإنَّ لكلِّ مَقالٍ بِسَاطَ حالٍ، والجملةُ الحاليَّةُ – ههنا–؛ وهي قولُه (تعالى): ﴿يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾(٧٨)– تفيدُ أنَّ «**الرَّاسِخين في العِلمِ**»– وإنْ علِموا شيْئًا عن مُرادِ «**اللهِ**» مِن المُتشابِه– فإنَّهم يَكِلُونَ العِلمَ بحقيقةِ ذلك الشَّيْءِ المُخْبَرِ به إلي «**اللهِ**» (سبحانه)، وبهذا يمكنُ **الجَمْعُ بيْن المُتَلازِمَيْن**، فكونُهم راسِخين في العِلمِ اقتضى أنَّهم علِموا شيْئًا اخْتُصُّوا به مِن بين عُمُومِ المُؤْمِنين، وكونُهم قالوا ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ نَفَى عنهم ذلك الادِّعاءَ الذي ادَّعاه «**أهلُ الزَّيْغِ**» مِن الجَزْمِ بأنَّهم عرفوا حقيقةَ مُرادِ «**اللهِ**» (ﷻ) مِن ذلك المُتشابِهِ، وبهذا يكون في الآيةِ نَفْيٌ وإثباتٌ، وفيها دليلٌ على أنَّ **المُتشابِهَ غيرُ مُتساوٍ في الحُكْمِ**(٧٩)–كما بيَّنْتُ–.

هذا عن استدلالِهم بالآيةِ، **وأمَّا ما استدلُّوا به مِن الخَبَرِ؛**

فمَعْلُولٌ –أيضًا– بما ذَكَرَه «**الطَّاهرُ بنُ عاشور**» في تفسيرِه مِن "أنَّ ما نُسِبَ إلى «**الخلفاءِ الأربعةِ**» وغيْرِهم مِن أنَّ «**الحروفَ المُقطَّعةَ**» ممَّا استأثرَ «**اللهُ**» (تعالى) بعِلمِه – وَارِدٌ بروايات ضعيفةٍ"(٨٠).

وإذا اعتبرنا صحَّتَها؛ فإنَّ وجوبَ الأخذِ بها مَنْقُوضٌ بما جاء مِن رواياتٍ عن بعضِ الصَّحابةِ الذين خاضُوا في بيانِ معاني تلك الحروفِ، كـ«**ابنِ عبَّاسٍ**» (**حَبْرِ الأُمَّةِ وترجمانِ القرآنِ**)، و«**ابنِ مَسْعُودٍ**» (**أعْلمِ الأُمَّةِ بكتابِ «اللهِ»**) – على ما سيأتي ذكرُه في «أدلَّةِ أصحابِ المَذْهَبِ الثَّانِي»، وهي رواياتٌ تُعارِضُ ما جاء مِن رواياتٍ –ههنا– عنهما.

وعليه؛ فإنَّنا **نكونُ أمامَ قولَيْن للصَّحابةِ (رضوان الله عليهم)، فينتفيَ القولُ بالوجوبِ، ويبقى الاختيارُ**، وعلى مُخْتَارٍ ألَّا يبدِّعَ آخرَ، أو يقطعَ بخطأِ قولِه، لا سيَّما وأنَّ "**الصَّحابةَ إذا اختلفوا لمْ يَكُنْ أحَدُهما حُجَّةً على الآخر إلَّا بدليلٍ**" – كما قال «**ابنُ عبد البرِّ**» (رحمه الله)(٨١)، ولا دليلَ –ههنا– يقطعُ بأحَدِ الرَّأيَيْن قَطْعًا يقينيًّا ينتفي معه احتمالُ الرَّأيِ الآخرِ–على ما سيأتي بيانُه إنْ شاءَ «**اللهُ**» (تعالى).

وهذا الذي قلتُ في **مَرْوِيَّاتِ الصَّحابةِ** ينسحبُ مِن باب أوْلى على **مَرْوِيَّاتِ التَّابعِين**، وأزيدُ أنَّ **التَّابعِين حالَ اختلافِهم لا يكونُ قولُ بعضِهم حُجَّةً على بعضٍ، ولا على مَن جاءَ بعدَهم**، كما قال شيخُ الإسلامِ «**ابنُ تَيْمِيَةَ**» (رحمه الله) في مُقدِّمتِه(٨٢).

وأمَّا استدلالُهم بالمَعْقُولِ؛

فقياسٌ مع الفارقِ؛ لأنَّ **قياسَ الأقوَالِ على الأفعَالِ لا يصحُّ مِن كلِّ وَجْهٍ**، فإنَّه وإنْ كانَ يَحسُنُ في الأفعَالِ أنْ نُؤْمَرَ بما لا نعرفُ وَجْهَ الحِكْمَةِ فيه كـ(أفعالِ الحجِّ) مثلًا، ويكونُ في استجابتِنا له دلالةٌ على كمالِ الانقيادِ والتَّسليمِ، فإنَّ ذلك في شَأْنِ الأقوالِ مُخْتَلَفٌ فيه بيْن العُلماءِ؛ **حيثُ قاسَها بعضُهم على الأفعَالِ، وذهبَ**

بعضُهم الآخرُ إلى عدمِ القياسِ؛ إذ لا يُعقَلُ – مِن وِجْهَةِ نَظَرِهم – أنْ يُخاطِبَ اللهُ (تعالى) الخَلْقَ بما يجهلون، ثمَّ يُطالِبُهم بالتَّحدِّي؛ يقول شيخُ المُفسِّرين الإمامُ «**ابنُ جَرِيرٍ الطَّبَرِي**» (رحمه الله): "...غيرُ جائزٍ أنْ يُخاطِبَ (جلَّ ذكرُه) أحَدًا مِن خَلْقِهِ إلَّا بما يَفْهَمُهُ المُخاطَبُ، ولا يُرْسِلُ إلى أحَدٍ منهم رسولًا برسالةٍ إلَّا بلسانٍ وبيانٍ يَفْهَمُهُ المُرسَلُ إليه؛ لأنَّ المُخاطَبَ والمُرسَلَ إليه إنْ لمْ يَفْهَمْ ما خُوطِبَ به، وأُرْسَلَ به إليه، فحالُه قبلَ الخطابِ وقبلَ مَجِئ الرِّسالةِ إليه وبعده سواءٌ، إذْ لمْ يُفِدْهُ الخطابُ والرِّسالةُ شيْئًا كان به قبلَ ذلك جاهلًا، و«**اللهُ**» (جلَّ ذكرُه) تعالَى عنْ أنْ يُخاطِبَ خطابًا أو يُرْسِلَ رسالةً لا تُوجِبُ فائدةً لمَن خُوطِبَ أو أُرْسِلَتْ إليه، لأنَّ ذلك فِينا مِن فِعْلِ أهلِ النَّقْصِ والعَبَثِ، و«**اللهُ**» (تعالى) عن ذلك مُتَعالٍ، ولذلك قالَ (جلَّ ثناؤُه) في مُحْكَمِ تنزيلِه: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡ﴾[٨٣]، وقال لنبيِّهِ «مُحَمَّدٍ»(صلَّى الله عليه وسلَّم):﴿وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِي ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾[٨٤]، فغيرُ جائزٍ أنْ يكونَ به مُهْتَدِيًا مَن كانَ بما يُهْدَى إليه جاهلًا"[٨٥]، وبعد أنْ ذَكَرَ قولَ «**اللهِ**» (تعالى): ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ١٩٣ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ١٩٤ بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ﴾[٨٦] – يقولُ الإمامُ «ابنُ جريرٍ»: "أنَّى يكونُ مُبينًا ما لا يعقلُه ولا يفهمُه أحدٌ مِن العالَمين؟"[٨٧]، ثمَّ يُضِيفُ قائلًا: "**وفي إخبارِ «اللهِ» (جلَّ ثناؤه) عنه أنَّه عربيٌّ مُبينٌ، ما يُكَذِّبُ هذه المَقالَةَ، ويُنْبِئُ عن أنَّ «العربَ» كانوا به عالِمين**"[٨٨].

كما أنَّ في تلقِّي «العربِ» لها بالقَبولِ مع تشوُّفِهم إلى عَثْرَةٍ دليلًا على ذلك –أيضًا–؛ يقولُ القاضي «**أبو بَكْرٍ بنُ العَرَبِي**» في «فوائد رحلته»: "**والذي أقولُه: إنَّه لولا أنَّ «العربَ» كانوا يعرفونَ أنَّ لها مَدْلُولًا مُتَدَاوَلًا بينهم لَكانوا أوَّلَ مَن أنكرَ ذلك على النَّبِيِّ (صلَّى الله عليه وسلَّم)، بلْ تَلَى عليهم ﴿حمٓ﴾ فُصِّلت، و ﴿صٓ﴾ وغيرهما، فلم يُنكِروا ذلك، بلْ صرَّحوا بالتَّسليمِ له في البلاغةِ والفصاحةِ مع تَشَوُّفِهم إلى عَثْرَةٍ ،...، وحِرْصِهم على زَلَّةٍ، فدلَّ على أنَّه كانَ أمْرًا مَعْرُوفًا بينهم**

لا إنكارَ فيه"[٨٩]، "وهذا لا يمكنُ أنْ يكونَ إذا كانتْ مِن المُتشابِهِ الذي استأثرَ اللهُ بعِلمِه"[٩٠] – على نحوِ ما ذهبتْ إليهِ الدكتورة «**عائشة عبدالرَّحمن**».

ولقدْ تعجَّبَ «**الطَّاهرُ بنُ عاشورَ**» مِن زَعْمِ مَن زَعَمَ أنَّ هذه الحروفَ غيرُ مَعْلُومَةِ المعنى؛ فقالَ: "**وكيف يَزْعُمُ زاعِمٌ أنَّها وَارِدَةٌ في مَعَانٍ غيْرِ مَعْرُوفَةٍ مع ثبوتِ تلقِّي السَّامِعين لها بالتَّسليمِ مِن مُؤْمِنٍ ومُعَانِدٍ**، ولوْلا أنَّهم فَهِمُوا معنًى مَعْرُوفًا دلَّتْ عليه القرائنُ لَسَألَ السَّائِلون وتورَّك المُعانِدون ،...، وقدْ سألوا عن أوضح مِن هذا، فقالوا: ﴿وَمَا ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾[٩١]؟"[٩٢].

ولعلَّ ذلك ما حملَ بعضَ أهلِ العِلمِ على تَخْطِئَةِ مَن قالَ أنَّ في «القُرآنِ» ما هو تعبُّدٌ محضٌ لا معنى له بالكلِّيَّة، بلْ ووصفوه بالجَهْلِ؛ يقولُ الحافظُ «**ابنُ كَثِيرٍ**» (رحمه الله): "ومِن –ههنا– لحظَ بعضُهم في هذا المَقامِ كلامًا؛ فقالَ: **لا شكَّ أنَّ هذه الحروفَ لمْ يُنْزِلْها (سبحانه وتعالى) عَبَثًا ولا سُدًى، ومَن قالَ مِن الجَهَلَةِ إنَّ في «القُرآنِ» ما هو تعبُّدٌ لا معنى له بالكلِّيَّةِ فقدْ أخطأَ خطأً كبيرًا**"[٩٣].

***

اختياراتُ المفسِّرين للمَذهبِ الأوَّل:

اختارَ هذا القولَ مِن المُفسِّرين «**أبو حَيَّانَ التَّوْحِيدِيّ**»؛ يقولُ (رحمه الله): "**والذي أذهبُ إليه أنَّ هذه الحروفَ التي في «فواتحِ السُّوَرِ» مِن المُتشابِهِ الذي استأثرَ اللهُ بعِلمِه، وسائرُ كلامِه مُحْكَمٌ**"[٩٤]، وقدْ نسبَ هذا الرأيَ إلى «**أبي محمَّدٍ عليِّ بنِ أحمَدَ اليَزِيدِيّ**»، وذكرَ أنَّه قولُ «**الشِّعْبِيّ**» و«**الثَّوْرِيّ**» وجَمَاعَةٍ مِن المُحَدِّثِين[٩٥]، ثمَّ انتقدَ (رحمه الله) مَسْلَكَ «**الزَّمَخْشَرِيّ**» وغيْرِه مِن أصحابِ «**مَذْهَبِ الخَوْضِ**» في بيانِ معاني تلك الحروفِ – بقولِه: "... وقدْ أطالَ «**الزَّمَخْشَرِيُّ**» وغيْرُه الكلامَ على هذه الحروفِ بما ليسَ يحصلُ منه كبيرُ فائدةٍ في عِلم التَّفسيرِ، ولا يقومُ على كثيرٍ مِن دعاويهِ بُرهانٌ"[٩٦]، وانتقدَ كذلك اختلافَهم في تفسيرِ معانيها بغيْرِ ما ضابطٍ؛ حيثُ يقولُ: "... **فانْظُرْ إلى هذا الاختلافِ المُنْتَشِرِ الذي لا يكادُ ينضبطُ في تفسيرِ هذه الحروفِ والكلامِ عليها**"[٩٧].

مِن –ههنا – يظهرُ أنَّه يرى في الاختلافِ دليلًا على بُطْلانِ مَذْهَبِهم؛ يتأكَّدُ هذا الفَهْمُ بما ذَكَرَه الإمامُ «**جلالُ الدِّينِ السِّيُوطِيُّ**» في كتابِه «**الإتْقَانُ فِي عُلُومِ القُرْآنِ**» عن القاضي «**أبي بَكْرٍ بنِ العَرَبِيِّ**» مِن قولِه: "ومِن الباطلِ عِلْمُ «**الحروفِ المُقطَّعةِ**» في أوائلِ السُّوَرِ، وقدْ تحصَّلَ لي فيها عشرون قولًا وأَزْيدُ، **ولا أعرفُ أحَدًا يحكمُ عليها بِـ(عِلْمٍ)، ولا يصلُ منها إلى (فَهْمٍ)**"[٩٨].

ولهذا جعلَها «**أبو حيَّانَ**» مِن المُتشابِهِ الذي لا يَقِفُ على العِلمِ بهِ أحَدٌ إلَّا «**اللهُ**» (تعالى)، لكنْ لعلَّه بالغَ إذْ جعلَها المُتشابهَ الوحيدَ في كتابِ «اللهِ» (عزَّ وجلَّ)، دلَّ على ذلك قولُه: "... **وسائرُ كلامِه مُحْكَمٌ**...". أمَّا قولُه في صَدْرِ الكلامِ: "... **هذه الحروف التي في فواتحِ السُّورِ مِن المُتشابِهِ** ..." – فلعلَّه خطأٌ مِن النَّاسخِ أو غيرِه، وإلَّا كانَ في الجملةِ اضْطِرَابٌ[٩٩] لا يليقُ بُمفسِّرٍ كبيرٍ عالِمٍ باللُّغةِ مُمْتَلِكٍ لناصيتِها كـ «**أبي حيَّانَ التَّوحِيديّ**» (رحمه الله).

وعلى كلِّ حالٍ، فإنَّ مِثْلَ هذا الاعتبارِ لا يَبْعُدُ عن لُغَوِيٍّ كبيرٍ كـ «**أبي حيَّانَ**»، فاللُّغةُ لا تَعْجَزُ عن إدراكِ معاني كتابِ «**اللهِ**» (عزَّ وجلَّ) جَمْعَاءَ إلَّا ما كانَ مِن أمْرِ تلك الحروفِ. أمَّا مَن ذهبَ إلى إدخالِ أنواعٍ أخرى في نطاقِ المُتشابِهِ فلاعتباراتٍ أخرى غيْرِ اللُّغةِ، ولهذا فإنَّه ليس بمُستَغرَبٍ أنْ يَصْدُرَ مثلُ هذا القولِ عن مثلِ هذا المُفسِّرِ.

ومَذْهَبُ «**التَّوحيدي**» قريبٌ مِن «**مَذْهَبِ الظَّاهِرِيَّةِ**»، فقدْ ذهبَ الإمامُ «**أبو مُحمَّدٍ بنُ حَزْمٍ الظَّاهِرِيّ**» إلى اعتبارِ أنَّها (**والأقسامَ**) فقطْ المُتشابِهُ مِن «القُرآنِ»؛ يقولُ (رحمه الله): "والمُتشابِهُ مِن «**القُرآنِ**» هو «**الحروفُ المُقطَّعةُ**» و«**الأقسامُ**» فقطْ، إذْ لا نَصَّ في شَرْحِها ولا إجْمَاعَ، وليس فيما عدا ذلك مُتشابِهٌ على الإطلاق"[١٠٠].

وقدْ اختارَ الإمامُ «**جلالُ الدِّينِ السِّيُوطِيُّ**» أنَّها مِن المُتشابِهِ؛ مِن ذلك النَّوعِ الذي لا يَعْلَمُه إلَّا «**اللهُ**» (تعالى)؛ إذْ يقولُ: "ومِن المُتشابِهِ أوائلُ السُّوَرِ، والمُختارُ – أيْضًا – أنَّها مِن الأسْرَارِ التي لا يَعْلَمُها إلَّا اللهُ (تعالى)"[١٠١]، وعند حديثِه عن

مُناسَبةِ افتتاحِ «**سورة البقرة**» بقولِه (تعالى): ﴿الٓمٓ﴾ – يقولُ (رحمه الله): "... **إنَّه لمَّا ابتُدِئَتْ «الفاتحة» بالحرفِ المُحْكَمِ الظَّاهرِ لكلِّ أحَدٍ بحيثُ لا يُعْذَرُ أحَدٌ في فَهْمِهِ، ابتُدِئَتْ «البقرة» بمُقابِلِهِ، وهو الحرفُ المُتَشَابِهُ البعيدُ التَّأويلِ أو المُسْتَحِيلُهُ**"[١٠٢]، أو "... **المَعْجُوزُ عنه** ..." –كما في عبارةِ «**الحَرَّالِي**» (رحمه الله)[١٠٣]، وذلك "... **لإظهارِ العَجْزِ ومَحْضِ الإيمانِ** ،...، وليكونَ العبدُ يفتتحُ «القُرآنَ» بالإيمانِ بغَيْبٍ مُتَشَابِهٍ في قولِه: ﴿الٓمٓ﴾، فيكون أتمَّ انقيادًا لِمَا دونَه، وبريئًا مِن الدَّعْوَى في مُستَطاعِهِ في سائرِ الحروفِ"[١٠٤].

وقريبٌ مِن هذا ما قالَه «**الألُوسِيُّ**» عن وَجْهِ مُناسَبةِ افتتاحِ «**سورة البقرة**» بـ ﴿الٓمٓ﴾ بعدَ «**الفاتحة**»، إلَّا أنَّه يختلفُ عنهم في المقصودِ بالمُتشابِهِ، يقولُ (رحمه الله): "... لمَّا افتتحَ (سبحانه) «**الفاتحة**» بالأمْرِ الظَّاهِرِ، وكان وراءَ كلِّ ظاهرٍ باطنٌ، افتتحَ السُّورةَ – يقصدُ «**البقرة**» – بما بَطنَ سِرُّه، وخفيَ إلَّا على مَن شاءَ «اللهُ» (تعالى)– أمْرُه"[١٠٥]، فـ«**الألُوسِيُّ**» (رحمه الله) يرى أنَّ هذه الحروفَ مِن المُتشابِهِ، لكنْ مِن ذلك النَّوعِ الذي يعلمُه «**الرَّاسِخون في العِلمِ**».

ويلتقي هذا الفَهْمُ للمُتشابِهِ مع ما نقلَه «**الزَّرْكَشِيُّ**» عن «**ابنِ فَارِسٍ**» – تعليقًا على مَقالَةِ (**أنَّ لكُلِّ كتابٍ سِرًّا، وسِرُّ «القُرآنِ» فواتحُ السُّوَرِ**) – يقولُ (رحمه الله):"قال «**ابنُ فَارِسٍ**»:"وأظنُّ قائلَ ذلك أرادَ أنَّه مِن السِّرِّ الذي لا يعلمُه إلَّا «**اللهُ**» و «**الرَّاسِخون في العلمِ**»"،ثمَّ قالَ: "واختارَه جماعةٌ منهم «**أبو حَاتِمِ بنِ حِبَّان**»"[١٠٦].

وقدْ نقلَ «**القُرْطُبِيُّ**» عن «**أبي حَاتِمٍ**» – هذا – أنَّه قالَ: "**لمْ نجد «الحروفَ المُقطَّعةَ» إلَّا في أوائلِ السُّوَرِ، ولا ندري ما أرادَ «اللهُ» (عزَّ وجلَّ) بها**"[١٠٧]، وظاهرُ القولَيْن التَّعارُضُ، ويمكنُ الجَمْعُ بينهما مِن خلالِ حَمْلِ هذه المَقالَةِ التي نقلَها «**القُرْطُبِيُّ**» عنه على أنَّه أرادَ **أنَّنا لا ندري حقيقةَ ما أرادَ «اللهُ» (عزَّ وجلَّ) بها**، فعِلْمُ ذلك عنده (سبحانه)، أمَّا كلُّ مَن فسَّرَها فإنَّ قولَه فيها لا يَعْدُو أنْ يكونَ ظنًّا لا يقينَ فيه؛ يقولُ الإمامُ «**مُحمَّدُ أبو زهرةَ**» في تفسيرِه: "... **وكلُّ هذه التفسيراتِ ظُنونٌ، وإنَّ الظَّنَّ لا يُغنِي مِن الحَقِّ شيْئًا، ولم يَرِدْ واحدٌ منها عن**

الرَّسُولِ (صلَّى الله عليه وسلَّم)، ولو وردتْ عنه لقبِلناها صَاغِرين، ولخَرَجَتْ مِن (المُتشابِهِ) إلى (المُحْكَمِ)"[١٠٨].

وهذا الكلامُ قريبٌ مِن قولِ «**ابنِ العَرَبِيّ**» (رحمه الله): "... **ولا أعرفُ أَحَدًا يَحْكُمُ عليها بِـ(عِلْمٍ)، ولا يَصِلُ منها إلى (فَهْمٍ)** ..."[١٠٩]؛ أيْ: يَحْكُمُ عليها **بعِلْمٍ قَطْعِيٍّ**، أو يَصِلُ منها إلى **فَهْمٍ لا يحتملُ معه غيرَه**.

ويتطابقُ هذا الفَهْمُ مع ظاهِرِ كلامِ الإمامِ «**ابنِ حَزْمٍ الظَّاهِرِيّ**» حالَ تعليلِه اختيارَه أنَّها مِن المُتشابِهِ؛ حيثُ قالَ: "...**إذْ لا نَصَّ فيها ولا إجْمَاعَ** ..."، و(النَّصُّ) و(الإجْمَاعُ) – كما هو مُسْتَقِرٌّ ومَعْرُوفٌ – إنَّما يقودُ كلٌّ منهما إلى العِلْمِ القَطْعِيِّ والفَهْمِ غيرِ المُحْتَمِل لغيرِه، وهذا لا يمكنُ لمُدَّعٍ أنْ يقولَ بوجودِه في شَأْنِ تلك الحروفِ، ولا يمكنُ كذلك أنْ يُحْمَلَ قولُ أحَدٍ مِن المُفسِّرين الذين خاضوا في بيانِ معناها على أنَّه أرادَ ذلك، **فأنتَ لا تكادُ تجدُ أَحَدًا مِن المُفسِّرين جَزَمَ بأنَّ المعنى الذي اختارَه هو عَيْنُ مُرَادِ «اللهِ» (تعالى) مِن تلك الحروفِ، بلْ غايةُ ما هنالك التَّرجيحُ المَبْنِيُّ على غَلَبَةِ الظَّنِّ**؛ فها هو ذا الإمامُ «**الزَّرْكَشِيُّ**» يُضَعِّفُ الرَّأيَ القائلَ بأنَّ هذه الحروفَ هي نِصْفُ حروفِ الهجاءِ، وأنَّها جاءتْ في تسعةٍ وعشرين سُورَةً بعَدَدِ جُمْلَةِ الحروفِ، وكأنَّ القصْدَ احتواؤها على نِصْفِ الكتابِ، فيقول: "... ولو كانَ القصْدُ الاحتواءَ على نِصْفِ الكتابِ لجاءتْ في أربعَ عشرةَ سُورةً، وهذا الاحتواءُ ليس مِن كُلِّ وَجْهٍ، بلْ مِن وَجْهٍ يرجعُ إلى النُّطْقِ والفصاحةِ وتركيبِ ألفاظِ اللُّغةِ العربيَّةِ، وما يقتضي أنْ يَقعَ فيه التَّعْجِيزُ..."[١١٠]، ثمَّ يقولُ (رحمه الله): "... **ويحتملُ أنْ يكونَ لِمَعَانٍ أُخَر، يجدُها مَن يفتحُ «اللهُ» عليه بالتَّأمُّلِ والنَّظرِ، أو هِبَةً مِن لَدُنْه (سبحانه)**"[١١١]؛ فتراه لمْ يجزمْ بأنَّ الذي اختارَه هو عينُ مُرادِ «اللهِ» (عزَّ وجلَّ).

ويُؤَكِّدُ الإمامُ «**محمَّد رشيد رضا**» على هذا المعنى، وذلك بعدَ ذكْرِه بعضَ معانيها، واختيارِه أنَّها إنَّما جاءتْ تنبيهًا للسَّامعِ إلى ما سَيُلْقَى إليه بعدَها مِن الكلامِ حتَّى لا يفوتُه منه شيْءٌ[١١٢]– حيثُ يقولُ (رحمه الله): "...**كما يصحُّ في سائرِ تلك**

الحروفِ أنْ يكونَ فيها إشاراتٌ إلى معانٍ مُعيَّنةٍ تظهرُ لبعضِ النَّاسِ دون بعضٍ، أو غيرِ مُعيَّنةٍ تذهبُ فيها الأفهَامُ مَذاهِبَ تفيدُ أصْحَابَها عِلْمًا أو عِبْرَةً بشَرْطِ أنْ تتَّفقَ مع هدايةِ «القُرآنِ»، وإنْ لمْ يصحَّ أنْ يُقَالَ: إنَّها مُرادةٌ للهِ (تعالى) بحسبِ دلالةِ الألفاظِ العربيَّةِ على معانيها"(١١٣).

وقدْ سَلَكَ هذا المَسْلَكَ «**الطَّاهرُ بنُ عَاشُورَ**» عندَ تفسيرِه لمَطْلَعِ «**سُورَةِ البقرة**»؛ إذْ يقولُ: "**تحيَّرَ المُفسِّرون في مَحلِّ هَاتِهِ الحروفِ الواقعةِ في أوَّلِ هَاتِهِ السُّوَرِ،...، وأَخْلِقْ بها أنْ تكونَ مَثارَ حِيرةٍ، ومَصْدَرَ أقوالٍ مُتعدِّدةٍ وأبحاثٍ كثيرةٍ ،...، وهي مِن «القُرآنِ» لا مَحَالَةَ، ومِن المُتشابِهِ في تأويلِها**"(١١٤)، فهو يرى أنَّها مِن المُتشابِهِ، لكنَّه رغمَ ذلك خاضَ في بيانِ معانيها، ذاكِرًا تلك الأقوالَ التي تَناقَلَها المُفسِّرون، مُرجِّحًا بينها؛ حيثُ يقولُ – بعدَ ذكرِه أقوالَ المُفسِّرين–: "... **الأرجحُ مِن تلك الأقوالِ ثلاثةٌ**؛ وهي كونُها تلك الحروفَ لتبكيتِ المُعانِدين، وتَسْجِيلًا لعَجْزِهم عن المُعارَضةِ، أو كونُها أسماءً للسُّوَرِ الواقعةِ هي فيها، أو كونُها أقسامًا أقسَمَ [«اللهُ»] بها لتشريفِ قَدْرِ الكتابةِ، وتنبيهِ العربَ الأُمِّيِّين إلى فوائدِ الكتابةِ لإخراجِهم مِن حالِ الأُمِّيَّةِ، وأرْجَحُ هذه الأقوالِ الثلاثةِ هو أوَّلُها..."(١١٥)، ومَسْلَكُ «**الطَّاهرِ بنِ عَاشُورَ**» – هذا– يدلُّ على أنَّه يرى أنَّ هذه الحروفَ مِن المُتشابِهِ مِن ذلك النَّوعِ الذي يعلمُه «**الرَّاسِخون في العِلم**»، فقد جعلَ المُتشابِهَ عَشْرَةَ مَراتِبَ؛ الثانيةُ منها: "**مَعَانٍ قُصِدَ إشعارُ المُسلِمين بها، وتعيَّنَ إجْمَالُها، مع إمْكَانِ حَمْلِها على مَعَانٍ مَعْلُومَةٍ، لكنْ بتأويلاتٍ، كحروفِ أوائلِ السُّوَرِ**"(١١٦).

وهذا الفَهْمُ يتطابقُ مع فَهْمِه للمُتشابِهِ، فعندَ تفسيرِه لقولِ «**اللهِ**» (تعالى): ﴿مِنْهُ ءَايَـٰتٌ مُّحْكَمَـٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَـٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَـٰبِهَـٰتٌ﴾(١١٧)؛ قالَ: "...و**(المُتَشَابِهَاتُ) مُقابِلُ (المُحْكَمَاتِ)؛ فهي التي دلَّتْ على مَعَانٍ تشابَهتْ في أنْ يكونَ كلٌّ منها هو المُرادُ**. ومعنى تشابُهِها: أنَّها **تشابهتْ في صحَّةِ القصْدِ إليها**؛ أيْ: لمْ يَكُنْ بعضُها أرجحَ مِن بعضٍ، أو يكونَ معناها صادقًا بصُوَرٍ كثيرةٍ مُتناقِضةٍ، أو غيرِ مُناسِبةٍ

لأنْ تكونَ مُرادًا، فلا يَتبيَّنُ الغرضُ منها، فهذا وَجْهُ تفسيرِ الآيةِ فيما أرَى"[١١٨]، وهو الرَّاجِحُ على ما أظنُّ. والله الهادي سواءَ السَّبيلِ.

***

أدِلَّةُ أصْحَابِ المَذْهَبِ الثَّانِي:

احتجَّ أصحابُ المَذْهَبِ الثَّاني **مَذْهَبِ «الخَوْضِ والتَّنْقِيبِ»** بالآيَاتِ والأخْبَارِ والمَعْقُولِ.

أمَّا الآيَاتُ فأربعةَ عشرَ[١١٩]:

أولاها: قولُه (تعالى): ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾[١٢٠]؛ أمَرَهم بِـ(**التَّدبُّرِ**) في «**القُرآنِ**»، ولو كان غيْرَ مَفْهُومٍ فكيف يأمُرُهم بِـ(**التَّدبُّرِ**) فيه؟!

ثانيها: قولُه (سبحانه): ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾[١٢١]، فكيفَ يأمُرُهم بِـ(**التَّدبُّرِ**) فيه لِمَعْرِفَةِ نَفْيِ التَّناقُضِ والاختلافِ مع أنَّه غيْرُ مَفْهُومٍ للخَلْقِ؟!

ثالثُها: قولُه (جلَّ جَلالُه): ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾[١٢٢]، فلوْ لمْ يَكُنْ مَفْهُومًا بَطُلَ كَوْنُ الرَّسُولِ(صلَّى الله عليه وسلَّم) مُنْذِرًا به، كما أنَّ قولَه ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ﴾ يدلُّ على أنَّه نازلٌ بلُغَةِ «العربِ»، وإذا كان الأمْرُ كذلك وَجَبَ أنْ يكونَ مَفْهُومًا.

رابعُها: قولُه (تعالى): ﴿لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ﴾[١٢٣]، و(**الاستنباطُ منه**) لا يمكنُ **إلَّا** مع (**الإحاطةِ بمعناه**).

خامسُها: قولُه (سبحانه): ﴿تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾[١٢٤]، وقولُه (جلَّ جلالُه): ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ﴾[١٢٥]، ومُقْتَضَى هذا ألَّا يكونَ فيه شيْءٌ غيْرُ مَعْلُومٍ.

سادسُها: قولُه (جلَّ ذكرُه): ﴿هُدًى لِّلنَّاسِ﴾[١٢٦]، وقولُه (جلَّ في علاه): ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾[١٢٧]، المَعْلُومِ لا يكونُ (**هُدًى**).

سابعُها: قولُه (تعالى): ﴿قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾[١٢٨]، وقولُه (جلَّ وعلا): ﴿حِكْمَةٌۢ بَٰلِغَةٌ﴾[١٢٩]، وكلُّ هذه الصِّفاتِ لا تحصلُ في غيْرِ المَعْلُومِ.

ثامنُها: قولُه (سبحانه): ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ﴾[١٣٠]، وهذا يَقْتَضِي أنْ ـ واضحَ الدَّلالةِ مَعْلُومَ المعنى.

تاسعُها: قولُه (جلَّ جلالُه): ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝٥١﴾[١٣١]، وكيفَ يكونُ الكتابُ **(كافيًا)**، وكيفَ يكونُ **(ذكرى)** مع أنَّه غيْرُ مَفْهُومٍ؟!

عاشرُها: قولُه (تعالى): ﴿هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ﴾، فكيفَ يكونُ **(بلاغًا)**، وكيفَ يقعُ **(الإنذارُ بهِ)** مع أنَّه غيْرُ مَعْلُومٍ؟! وقدْ قالَ (تعالى) في آخرِ الآيةِ: ﴿وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[١٣٢]، وإنَّما يكونُ كذلك لوْ كان مَعْلُومًا.

الحادي عشر: قولُه (سبحانه): ﴿قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾[١٣٣]، ـ يكونُ **(بُرهانًا)** و**(نُورًا مُبِينًا)** مع أنَّه غيْرُ مَعْلُومٍ؟!

الثاني عشر: قولُه (جلَّ شأنُه): ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ۝١٢٣ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ۝١٢٤﴾[١٣٤]، فكيفَ يمكنُ **(اتِّباعُه)** أو **(الإعراضُ عنه)** وهو غيْرُ مَعْلُومٍ؟!

الثالث عشر: قولُه (تعالى): ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾[١٣٥]، فكيفَ يكونُ **(هاديًا)** مع أنَّه غيْرُ مَعْلُومٍ؟!

الرابع عشر: قولُه (سبحانه): ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾[١٣٦]، و**(الطَّاعةُ)** لا تُمْكِنُ إلَّا بعدَ **(الفَهْمِ)**، فوَجَبَ كَوْنُ «**القُرآنِ**» مَفْهُومًا.

هذا عن الآياتِ التي استدلُّوا بها، وأمَّا الأَخْبَارُ؛

- فمنها قولُ النَّبِيِّ (صلَّى الله عليه وسلَّم): **{إِنِّي تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدِي أَبَدًا؛ كَتَابَ اللهِ وَسُنَّتِي}**[١٣٧]، فكيفَ يمكنُ **(التَّمَسُّكُ به)** وهو غيْرُ مَعْلُومٍ؟!
- ومنها ما جاءَ عن **الإمامِ «عَلِيِّ بنِ أبي طَالِبٍ»** (رضي الله عنه) أنَّه قالَ: قالَ رسولُ اللهِ (صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ): **{عَلَيْكُمْ بِكِتَابِ اللهِ فِيهِ نَبَأُ مَا قَبْلَكُمْ، وَخَبَرُ مَا بَعْدَكُمْ، وَحُكْمُ مَا بَيْنَكُمْ، هُوَ الْفَصْلُ لَيْسَ بِالْهَزْلِ، مَنْ تَرَكَهُ مِنْ جَبَّارٍ قَصَمَهُ اللهُ، وَمَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى فِي غَيْرِهِ أَضَلَّهُ اللهُ، وَهُوَ حَبْلُ اللهِ الْمَتِينُ، وَالذِّكْرُ الْحَكِيمُ، وَالصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ، هُوَ الَّذِي لَا تَزِيغُ بِهِ الْأَهْوَاءُ، وَلَا تَشْبَعُ مِنْهُ الْعُلَمَاءُ، وَلَا يَخْلَقُ عَلَى كَثْرَةِ الرَّدِّ، وَلَا تَنْقَضِي عَجَائِبُهُ، مَنْ قَالَ بِهِ صَدَقَ، وَمَنْ حَكَمَ بِهِ عَدَلَ، وَمَنْ خَاصَمَ بِهِ فَلَجَ، وَمَنْ دَعَا إِلَيْهِ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ}**[١٣٨]. وكلُّ هذه الصِّفاتِ لا تحصلُ في غيْرِ المَعْلُومِ.

هذا بالإضافةِ إلى ما أَوْرَدُوهُ مِن تلك الرِّواياتِ الكثيرةِ التي تدلُّ على أنَّ مِن «الصَّحابةِ» و«التَّابعين» مَن خاضَ في بيانِ معاني تلك الحروفِ؛

- مِن ذلك ما رَوَوْهُ عن بعضِهم مِن أنَّها **أسماءٌ للسُّوَرِ التي جاءتْ في مُفْتَتَحِها**؛ رُوِيَ ذلك عن **«زَيْدِ بنِ أَسْلَمَ»**، وابنِه[١٣٩]، ورُوِيَ كذلك عن **«مُجَاهِدٍ»**[١٤٠] (رحمه الله).
- وقالَ بعضُهم: **بلْ** هي **اسمٌ مِن أسماءِ «القُرآنِ»**؛ قاله **«قَتَادَةُ»**، و**«ابنُ جُرَيْجٍ»**، و**«الحَسَنُ»**(رحمهم الله)، ورُوِيَ ذلك–أيضًا–عن **«مُجَاهِدٍ»** و**«زَيْدِ بنِ أَسْلَمَ»**[١٤١].
- وقيلَ: بلْ هي **أقسامٌ أقسَمَ «اللهُ» بها لشرفِها وفضلِها؛ لأنَّها مَبادِي كتبِهِ المُنزلةِ، ومَبانِي أسمائِهِ الحُسْنَى**؛ نُقِلَ ذلك عن **«الأَخْفَش»**(رحمه الله)[١٤٢]، وهو مَرْوِيٌّ عن **«ابنِ عبَّاس»**(رضي الله عنهما)،وكذلك عن**«عِكْرِمَة»**(رحمه الله)[١٤٣].

- وقيلَ: بلْ هي **أسماءٌ مِن أسماءِ «اللهِ» (تعالى)**؛ قالَه **«ابنُ عبَّاس»** (رضي الله عنهما)، وهو مَرْوِيٌّ عن **«السُّدِّيّ»**، و**«سَالِم بنِ عبْدِ اللهِ»**، و**«عَامِر»**، و**«سَعِيدِ بنِ جُبَيْرٍ»**، و**«الشِّعْبِيّ»** (رحمهم الله)(١٤٤).
- وقيلَ: بلْ هي **اسمُ «اللهِ» الأعظمُ**؛ قالَ **«عَلِيّ بنُ أبي طَالِبٍ»** و**«عبْدُ اللهِ بنُ عبَّاسٍ»** (رضي الله عنهما): "**«الحروف المقطَّعة» في «القُرآنِ» هي اسمُ «اللهِ» الأعظمُ، إلَّا أنَّنا لا نعرفُ تأليفَه منها**"(١٤٥)، وقد رَوَى الإمامُ **«البَغَوِيُّ»** في تفسيرِه عن **«سَعِيدِ بنِ جُبَيْرٍ»** نحو ذلك(١٤٦).
- وقيلَ: بلْ هي **حروفٌ مُقطَّعةٌ مِن أسْمَاءٍ وأفْعَالٍ، كلُّ حرفٍ منها لمعنى غير معنى الحرفِ الآخر**، فقد رَوَى **«سَعِيدُ بنُ جُبَيْرٍ»** عن **«ابنِ عبَّاسٍ»** (رضي الله عنهما) أنَّه قالَ: "معنى ﴿الٓمٓ﴾: أنا **«اللهُ»** أعلمُ، ومعنى﴿الٓمٓصٓ﴾: أنا **«اللهُ»** أعلمُ وأفصلُ، ومعنى﴿الٓر﴾:أنا**«اللهُ»**أرَى،ومعنى﴿الٓمٓر﴾: أنا **«اللهُ»** أعلمُ وأرَى"(١٤٧).
- وقيلَ: بلْ هي **مبادئُ أسماءٍ**؛ فقدْ رُوِيَ عن **«ابنِ عبَّاسٍ»** أنَّه قالَ في تفسيرِ قولِه (تعالى): ﴿الٓمٓ﴾: "(الألفُ): مِن **«اللهِ»**، و(اللَّامُ): مِن **«جبرائيلَ»**، و(الميمُ): مِن **«مُحمَّدٍ»** (صلَّى الله عليه وسلَّم)"(١٤٨).
- وقيلَ: بلْ هي **فواتحُ افتتحَ «اللهُ» بها السُّوَرَ قصْدَ التنبيهِ والاستئنافِ؛ ليُعْلَمَ أنَّ الكلامَ الأوَّلَ قد انقضَى**؛ قالَه **«مُجَاهِدٌ»**، و**«الحَسَنُ»**، و**«ابنُ جُرَيْجٍ»**(١٤٩)، ونَحَا هذا النَّحْوَ **«أبوعُبَيْدَة»** و**«الأخْفَشُ»** (رحِمَ اللهُ الجميعَ)(١٥٠).
- وقيلَ: **بلْ هي حروفُ هِجَاءٍ مَوْضُوعٍ إشارةً إلى بقيَّةِ الحروفِ قصْدَ التَّعْجِيزِ والتَّبْكِيتِ**؛ قالَ **«قُطْرُبُ»** و**«الفَرَّاءُ»** وغيْرُهما: "**هي إشَارةٌ إلى حروفِ الهجاءِ، أَعْلَمَ اللهُ بها العربَ حينَ تحدَّاهم بـ«القُرآنِ»– أنَّه مُؤْتَلِفٌ مِن حروفٍ هي التي منها بناءُ كلامِهم؛ ليكونَ عَجْزُهم عنه أبْلَغَ في الحُجَّةِ عليهم، إذْ لمْ يخرجْ عن كلامِهم**"(١٥١).
- وقيلَ: **بلْ كان القصْدُ مِن وُرُودِها على تلك الهَيْئَةِ أنْ يَسْتَغْرِبَها المُشرِكون، فيفتحون لها أسْمَاعَهم، فيسمعون «القُرآنَ» بعدَها، فتجبُ عليهم الحُجَّةُ**؛ قالَ

«قُطْرُبُ»(رحمه الله): "**كانوا ينفرون عندَ استماعِ «القُرآنِ»، فلمَّا سَمِعُوا ﴿الٓمٓ﴾ و﴿الٓمٓصٓ﴾استنكروا هذا اللَّفْظَ، فلمَّا أنصَتوا لَهُ(صلَّى الله عليه وسلَّم)أقبلَ عليهم بـ«القُرآنِ»المُؤْتَلِفِ؛ ليُثْبِتَهُ في أسْمَاعِهم وآذانِهم، ويُقِيمَ الحُجَّةَ عليهم**"(١٥٢).

- وقالَ قومٌ: بلْ هي **حروفٌ مِن (حِسَاب الجُمَّل)**(١٥٣) دونَ مَا خالفَ ذلك مِن المعاني، واستدلُّوا على ذلك بالمعقولِ؛ فقالوا: "**لا نعرفُ للحروفِ المُقطَّعةِ معنًى يُفهَمُ سوى (حِسَاب الجُمَّل)، وسوى تهجِّي قولَ القائلِ: (ا/ل/م)...**" – قالوا: "**وغيْرُ جائزٍ أنْ يُخاطِبَ «اللهُ» (جلَّ ثناؤه) عبادَه إلَّا بما يفهمون ويعقلون عنه. فلمَّا كانَ ذلك كذلك – وكانَ قولُه ﴿الٓمٓ﴾ لا يُعْقَلُ له وَجْهٌ تُوُجِّهَ إليه إلَّا أحَدُ الوَجْهَيْن اللَّذَيْن ذكرنا، فـ[إذا] بَطُلَ أحَدُ وَجْهَيْهِ، وهو أنْ يكونَ مُرادًا بها تهجِّي (ا/ل/م) – صَحَّ وثبَتَ أنَّه مُرادٌ به الوَجْهُ الثَّانِي، وهو (حِسَاب الجُمَّل)**"(١٥٤).

واستدلُّوا – أيضًا – بحديثِ «**حُيَيِّ بن أخْطَبَ**»، وهو حديثٌ رواه «**ابنُ جَرِيرٍ الطَّبَرِيّ**» في تفسيرِه عن «**محمَّدِ بنِ حُمَيْدٍ الرَّازِي**»، قالَ: حدَّثنا «**سَلَمَةُ بنُ الفَضْلِ**»، قالَ: حدَّثني «**محمَّدُ بنُ إسْحَاقَ**»، قالَ: حدَّثني «**الكَلْبِيُّ**»، عن «**أبي صَالِحٍ**»، عن «**ابنِ عبَّاسٍ**»، عن «**جَابِرِ بنِ عبْدِ اللهِ بنِ رِئَابٍ**»، قالَ: "مرَّ «**أبو يَاسِر بن أخْطَب**» برسُولِ اللهِ (صلَّى الله عليه وسلَّم) وهو يتلُو فاتحةَ «سورة البقرة»: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ﴾(١٥٥)، فأتى أخَاه «حُيَيَّ بنَ أخْطَب» مِن يَهُودَ، فقالَ: تعلمون و«الله» – لقد سمعتُ «مُحَمَّدًا» يتلُو فيما أنزلَ «اللهُ» (عزَّ وجلَّ) عليه: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ﴾، فقالوا: أنت سَمِعْتَه؟ قالَ: نعم. قالَ: فمشَى «**حُيَيُّ بن أخْطَب**» في أولئك النَّفَرِ مِن يَهُودَ إلى رسُولِ اللهِ (صلَّى الله عليه وسلَّم)، فقالوا: يا «**مُحَمَّدُ**»، ألمْ يُذْكَرْ لنا أنَّك تَتْلُو فيما أُنْزِلَ عليك: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ﴾؟ فقالَ رسُولُ اللهِ (صلَّى الله عليه وسلَّم): بلى. فقالوا: أجاءَك بهذا «**جِبْرِيلُ**» مِن عندِ «**اللهِ**»؟ قالَ: نعم. قالوا: لقدْ بعثَ «**اللهُ**» (جلَّ ثناؤه) قبْلَكَ أنبياءَ، ما نعلمُه بيَّنَ لنَبِيٍّ منهم ما مُدَّةُ مُلْكِهِ وما أكْلُ أُمَّتِهِ غيْرَك! فقال «حُيَيُّ بنُ

أَخْطَبَ» – وأقبلَ على مَن كانَ معه – فقالَ لهم: (الألفُ): واحدةٌ، و(اللَّامُ): ثلاثون، و(الميمُ): أربعون، فهذه إحدَى وسبعون سنةً. أفتدخلون في دينِ نَبِيٍّ إنَّمَا مُدَّةُ مُلْكِه وأكْلُ أُمَّتِه إحدى وسبعون سَنَةً؟ قالَ: ثمَّ أقبلَ على رسُولِ اللهِ (صلَّى الله عليه وسلَّم)، فقالَ: يا «مُحَمَّدُ»، هل مع هذا غيرُه؟ قالَ: نعم. قالَ: ماذا؟ قالَ: ﴿الٓمٓصٓ﴾. قالَ: هذه أثقلُ وأطولُ؛ (الألفُ): واحدةٌ، و(اللَّامُ): ثلاثون، و(الميمُ): أربعون، و(الصَّادُ): تسعون، فهذه مائة وإحدى وستُّون سَنَةٍ. هل مَع هذا يا «مُحَمَّدُ» غيرُه؟ قالَ: نعم. قالَ: ماذا؟ قالَ: ﴿الٓرٰ﴾. قالَ: هذه واللهِ أثقلُ وأطولُ؛ (الألفُ): واحدةٌ، و(اللَّامُ): ثلاثون، و(الرَّاءُ): مائتان، فهذه إحدى وثلاثون ومائتا سَنَةٍ، فقالَ: هل مع هذا غيرُه يا «مُحَمَّدُ»؟ قالَ: نعم؛ ﴿الٓمٓرٰ﴾. قالَ: فهذه واللهِ أثقلُ وأطولُ؛ (الألفُ): واحدةٌ، و(اللَّامُ): ثلاثون، و(الميمُ): أربعون، و(الرَّاءُ): مائتان، فهذه إحدى وسبعون ومائتا سَنَةٍ. ثمَّ قالَ: لقدْ لُبِّسَ علينا أمْرُك يا «مُحَمَّدُ»، حتَّى ما ندري أقليلًا أُعْطِيتَ أمْ كثيرًا؟ ثمَّ قاموا عنه، فقالَ «أبو يَاسِرٍ» لأخيه «حُيَيِّ بنِ أخْطَبَ» ولِمَنْ معه مِن الأحْبَارِ: ما يُدْريكم لعلَّه قد جُمِعَ هذا كلُّه لِـ«مُحَمَّدٍ»؛ إحْدَى وسبعون، وإحْدَى وستُّون ومائة، ومائتان وإحْدَى وثلاثون، ومائتان وإحْدَى وسبعون، فذلك سبعمائةَ سَنَةٍ وأربعٌ وثلاثون. فقالوا: لقدْ تشابَهَ علينا أمْرُه. ويزعمون أنَّ هؤلاءِ الآياتِ نزلتْ فيهم: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞ﴾(١٥٦)..."(١٥٧).

- وقالَ **آخرون: بلْ هي جِمَاعُ ذلك كلِّه، فهي حروفٌ يشتملُ كلُّ حرفٍ منها على معانٍ شتَّى مُخْتَلِفَةٍ**؛ فقد رُوِيَ عن «**الرَّبِيعِ بنِ أنَسٍ**» في قولِه (تعالى): ﴿الٓرٰ﴾ – أنَّه قالَ: "**هذه الأحرفُ، مِن التِّسعةِ والعشرين حرفًا، دارتْ فيها الألسُنُ كلُّها. ليسَ منها حرفٌ إلَّا وهو مِفتاحُ اسمٍ مِن أسمائِه، وليسَ منها حرفٌ إلَّا وهو في آلائِه وبَلائِه، وليسَ منها حرفٌ إلَّا وهو في مُدَّةِ قومٍ وآجالِهم**. وقالَ «**عِيسَى بنُ مَرْيَم**» [عليه السَّلامُ]: "**وعجيبٌ ينطقون في أسمائِه، ويعيشون في رِزْقِهِ، فكيف**

يكفرون؟!". قالَ: "(الألفُ): مفتاحُ اسْمِه «**الله**»، و(اللَّامُ): مفتاحُ اسْمِه «**لطيف**»، و(الميمُ): مفتاحُ اسْمِه «**مجيد**». و(الألفُ): آلاءُ «**اللهِ**»، و(اللَّامُ): لطفُه، و(الميمُ): مجدُه. (الألفُ): سَنةٌ، و(اللَّامُ): ثلاثون سَنةً، و(الميمُ): أربعون سَنةً"[١٥٨]. وقدْ رُوِيَ عن «**أبي العَالِيَة**» نحوه[١٥٩]؛ قال «**ابنُ فَارِسٍ**» (رحمه الله) –مُعلِّقًا على هذا القولِ–: "**وهو قَوْلٌ حَسَنٌ لَطِيفٌ؛ لأنَّ «الله» (تعالى) أنزلَ على نبيِّهِ [صلَّى الله عليه وسلَّم] الفرقانَ، فلمْ يَدَعْ نَظْمًا عجيبًا، ولا عِلْمًا نافعًا إلَّا أوْدَعَه إيَّاه، علِمَ ذلك مَن علِمَه، وجهِلَه مَن جهِلَه**"[١٦٠].

هذا عن أدلَّتِهم مِن المنقولِ. **أمَّا عن أدلَّتِهم مِن المَعْقُولِ؛ فمِن وُجُوهٍ:**

- **أحدها:** أنَّه لو وَرَدَ شيْءٌ لا سبيلَ إلى العِلم به لكانت المُخاطَبةُ به تَجْرِي مَجْرَى مُخاطَبةِ العربيِّ باللُّغةِ الزِّنجيَّةِ، ولمَّا لمْ يَجُزْ ذاك، فكذا هذا.
- **وثانيها:** أنَّ المقصودَ مِن الكلامِ (**الإفهَامُ**)، فلوْ لمْ يَكُنْ مَفْهُومًا لكانت المُخاطَبةُ به عَبَثًا وسَفَهًا، وإنَّه لا يليقُ بـ«الحَكِيمِ» (سبحانه).
- **وثالثها:** أنَّ التَّحدِّي وَقَعَ بـ«القُرآنِ»، وما لا يكونُ مَعْلُومًا لا يجوزُ وقوعُ التَّحدِّي بـه[١٦١]؛ بمعنى "... أنَّ هذه الألفاظَ إمَّا أنْ تكونَ مَفْهُومَةً، أو غيْرَ مَفْهُومَةٍ، والثَّاني: باطلٌ؛ لأنَّه لوْ جازَ ذلك كانَ الخِطابُ بها كالخِطابِ بالمُهْمَلِ، والتَّكلُّمِ مع العربيِّ بلُغةِ الزِّنجيِّ، ولمْ يَكُن «القُرآنُ» بأسْرِه هُدًى وبَيَانًا، فوَجَبَ أنْ تكونَ هذه الألفاظُ مَفْهُومَةً؛ لتحقيقِ ما أرادَه «اللهُ» [عزَّ وجلَّ] لكتابِه العزيزِ مِن البَيَانِ والهُدَى، وإمْكَانِ التَّحدِّي به"[١٦٢].

***

مُنَاقَشَةُ أدِلَّةِ أصْحَابِ المَذْهبِ الثَّاني:

أمَّا استدلالُهم بالآياتِ؛ فمِن جِهَةِ أنَّ كَوْنَ «القُرآنِ» (**هدًى، ورحمةً، وبيانًا، وكافيًا، وتذكرةً، ونذيرًا، وهاديًا...**) – يُنافِي كَونَه غيْرَ مَعْلُومٍ. وقد أُمِرْنا بِـ(**التَّدبُّرِ فيه**)، وهذا لا يكونُ إلَّا في مَعْلُومٍ. وفي قولِه (جلَّ شأنُه): ﴿**لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ**

﴿يَسْتَنْبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ﴾ دليلٌ على ذلك – أيضًا–؛ لأنَّ **(الاستنباطَ منه)** لا يكونُ إلَّا معَ **(الإحاطةِ بمعناه)**.وقدْ قالَ المُؤمِنونَ بعدَ سَماعِه: ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾، و**(الطَّاعةُ)** لا تُمْكِنُ إلَّا بعد **(الفَهْمِ)** فوَجَبَ كَوْنُ «القُرآنِ» مَفْهُومًا – هذا مُلخَّصُ ما قالوه.

وأقولُ: أمَّا تلك الصِّفاتُ؛ فإنَّها لا تَنْتَفِي عن «القُرآنِ» لِجَهْلِ العَوَامِ بكثيرٍ ممَّا فيه، لكنَّها حاصِلةٌ مُتَحَقِّقةٌ رغمَ ما فيهم مِن الجَهْلِ به، فكذلك – ههنا –، فإنَّ الجَهْلَ بمعاني تلك الحروفِ لا يعني انتفاءَ تلك الصِّفاتِ عن «القُرآنِ»، إذْ هي لا تنفكُّ عنه عَلِمَها مَن عَلِمَها، وجَهِلَها مَن جَهِلَها. ذلك أنَّ "... **اشتمالَ «القُرآن» على كلماتٍ غيْرِ ظاهرةِ المعنى لا يُنافِي وَصْفَ «القُرآن» بأنَّه (بيانٌ للنَّاسِ وهدًى ورحمةٌ)، فإنَّ هذه الأوصافَ يكفي لِتَحَقُّقِها ثبوتُها للقُرآنِ باعتبارِ جُمْلَتِه ومَجْمُوعِه لا باعتبارِ تفصِيلِه وعُمُومِه الشَّامِلِ لكُلِّ لفظٍ فيه.** ولا ريبَ أنَّ الكثرةَ الغامِرةَ في «القُرآنِ» كلَّها بَيَانٌ للتَّعاليمِ الإلهيَّةِ، وهِدَايَةٌ للخَلْقِ إلى الحَقِّ، ورَحْمَةٌ للعَالَم مِن وراءِ تقريرِ أصولِ السَّعادةِ في الدُّنيا والآخِرةِ"(١٦٣)، وإذا كانَ بعضُ النَّاسِ لا يَفْهَمُ بعضَ معاني «القُرآنِ»، فإنَّ ذلك "... ليس عَيْبًا في «القُرآنِ»، إنَّما هو عَيْبٌ في استعدادِ بعضِ أفرادِ الإنسانِ. وكتابُ اللهِ خُوطِبَ به الخوَاصُّ كما خُوطِبَ به العوَامُّ، فلا بِدْعَ أنْ يكونَ فيه ألفاظٌ لا يَفْهَمُها إلَّا الخاصَّةُ دونَ العامَّةِ"(١٦٤).

وأمَّا **الأمْرُ بـ(التَّدبُّرِ)**؛ فلا يلزمُ منه العِلمُ بجميعِ ما في «القُرآنِ»، فإنَّ عدمَ مَعْرِفَتِنا حقيقةَ صِفاتِ «اللهِ» (عزَّ وجلَّ) لمْ تقدحْ في تدبُّرِنا للقُرآنِ، بلْ **إنَّ التَّدبُّرَ فيما خَفِيَ على العَقلِ حقيقةُ مُرادِ «اللهِ» منه فيه واعِزٌّ لذلك العَقلِ أنْ يَعْرِفَ أنَّ لهُ حَدًّا يَقِفُ عندَه**، فيكونَ التَّدبُّرُ فيه أنْفَعَ للعبدِ مِن التَّدبُّرِ فيما عَلِمَ حقيقةَ معناه.

وأمَّا **(الاستنباطُ) مِن «القُرآنِ»**؛ فلا يَسْتَلْزِمُ الإحاطةَ بجميعِ معانيهِ، وهذا ما تدلُّنا عليه آيةُ «آل عمران»؛ فإنَّ «الرَّاسِخينَ في العِلمِ» رغمَ جَهْلِهم بحقيقةِ المعنى لمْ يَقْدَحْ ذلك في كَوْنِهم راسِخِين؛لأنَّ المُحِيطَ بجميعِ معاني «القُرآنِ» هو «اللهُ» وحدَه لا يُشَارِكُه في ذلك أحَدٌ مِن خَلْقِهِ، ومِن ثَمَّ فإنَّ جَهْل العُلماءِ ببعضِ المعاني لا يُمَثِّلُ

قَدْحًا فيهم ولا في استنباطِهم، بقَدْرِ ما فيه مِن إثباتِ كمالِ العِلمِ وإحاطتِه للهِ (جلَّ في عُلاه).

وأمَّا (**الطَّاعةُ**) التي هي الانقيادُ والامتثالُ؛ فإنَّها تكونُ مع (**الفَهْمِ**) ومع عدمِه. أمَّا الأوَّلُ؛ ففي تلك الأوامِرِ التي استطاعَ العُلماءُ الوصولَ إلى حِكْمَةِ «**اللهِ**» (عزَّ وجلَّ) فيها كـ(**الصَّلاةِ، والصِّيامِ، والزَّكاةِ**)، وأمَّا الثَّانِي؛ ففي غيْرِها مِن الأوامِرِ التي أَعْيَى العُلماءَ الوصولُ إلى حِكْمَةِ الشَّارعِ منها كـ(**أفعالِ الحَجِّ**)، ولا يَخْفَى أنَّ خفاءَ الحِكْمَةِ في الثَّانِي لا يقدحُ في الامْتِثالِ بهِ والطَّاعَةِ فيهِ، بلْ فيه كمَالُ الامْتِثالِ وعيْنُ الطَّاعَةِ؛ إذْ هو يدلُّ على كمَالِ الانقيادِ، والطَّاعَةُ ما هي إلا انْقِيَادٌ لأمْرِ «**الحَقِّ**» (سبحانه).

هذا عن استدلالِهم بالآياتِ، **أمَّا ما استدلُّوا به مِن الأخبَارِ؛**

فمَوْضِعُ نَظَرٍ كذلك، فأمَّا ما وَرَدَ عن النَّبِيِّ (صلَّى الله عليه وسلَّم)، فإنَّ فيه مِن العُمُومِ ما يُغْنِي عن المَقالةِ فيهِ، فهو حَقٌّ صحيحٌ في نفسِه لا ريْبَ في قَبُولِه، لكنْ أنْ يُتَّخَذَ ذلك دليلًا على أنَّ لازمه مَعْرِفَة معنى تلك الحروفِ، فمَوْضِعُ ريْبٍ وشكٍّ. كما أنَّه **لَمْ يَثْبُتْ عن رسُولِ اللهِ (صلَّى الله عليه وسلَّم) في هذه الفواتحِ شيْءٌ يصلحُ للتَّمسُّك به، بل غاية ما ثبَت عنه (صلَّى الله عليه وسلَّم) هو مُجرَّدُ عَدِّ حروفِها**، وذلك في الحديثِ المَروِيِّ عن «**عبْدِ اللهِ بنِ مَسْعُودٍ**» (رضيَ اللهُ عنه) قالَ: قالَ رسُولُ اللهِ (صلَّى الله عليه وسلَّم): **{مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لَا أَقُولُ ﴿الٓمٓ﴾ حَرْفٌ، وَلَكِنْ (أَلِفٌ) حَرْفٌ، وَ(لَامٌ) حَرْفٌ، وَ(مِيمٌ) حَرْفٌ}**[١٦٥].

هذا وقدْ ثبَتَ عن النَّبِيِّ (صلَّى الله عليه وسلَّم) حديثٌ روَاه «ابنُ أبي حَاتِمٍ» في «تفسيرِه» بسندِه عن «أسْمَاءَ بنتِ يَزيد» أنَّها سمعتْ رسُولَ اللهِ (صلَّى الله عليه وسلَّم) يقولُ: **{إِنَّ فِي هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ اسْمَ اللهِ الْأَعْظَمَ: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾**[١٦٦]، **وَ ﴿الٓمٓ ۝ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾**[١٦٧]...»[١٦٨].أقولُ: هذا الحديثُ–

على افتراضِ صِحَّتِه – ليس فيه دلالةٌ على أنَّ النَّبِيَّ (صلَّى الله عليه وسلَّم)قالَ بأنَّ اسْمَ «**اللهِ**» الأعظمَ هو ﴿الٓمٓ﴾، بلْ قالَ (صلَّى الله عليه وسلَّم) إنَّ الاسْمَ مَوْجُودٌ في الآيتين؛ ما يعني أنَّهُ مُشْتَرِكٌ بينهما، وقولُه (تعالى): ﴿الٓمٓ﴾ غيْرُ مُشْتَرِكٍ، فخرجَ عن كَوْنِه مَقْصُودًا مِن كلامِه (صلَّى الله عليه وسلَّم).

أمَّا حديثُ «**حُيَيّ بنِ أَخْطَبَ**» فهو **حديثٌ ضعيفُ الإسنادِ**، ضعَّفه الإمامُ «**ابنُ جَرِير الطَّبَرِيّ**» (رحمه الله)[١٦٩]، ونقلَه عنه الإمامُ «**السِّيُوطِي**» في «**الدُّرّ المَنْثُور**»، ووصَفَه بالضَّعفِ[١٧٠]، وكذلك نقلَه الإمامُ «**الشَّوْكَانِيّ**» في «**فتح القدير**»، وضَعَّفَه[١٧١]، وقالَ عنه الإمامُ الحافظُ «**ابنُ كَثِيرٍ**» (رحمه الله): "**وأمَّا مَن زعَم أنَّها – [أي:الحروف المُقطَّعة] – دالَّةٌ على مَعْرِفَةِ المُدَدِ، وأنَّه يُستخرَج مِن ذلك أوقاتُ الحَوادثِ والفِتَنِ والمَلاحِمِ، فقد ادَّعَى ما ليسَ لهُ، وطارَ في غيرِ مَطارِه، وقدْ وَرَدَ في ذلك حديثٌ ضعيفٌ ... مَدارُه على «محمَّدِ بنِ السَّائِبِ الكَلْبِيّ»، وهو مِمَّنْ لا يُحْتَجُّ بما انفردَ به**"[١٧٢]، ثمَّ قالَ: "... **وهو معَ ذلك أدلُّ على بُطلانِ هذا المَسْلَكِ مِن التَّمسُّكِ بهِ على صِحَّتِه**"[١٧٣].

والإمامُ «**ابنُ كثيرٍ**» –كما هو واضحٌ ههنا – لا يتكلَّمُ فقطْ عن ضَعْفِ هذا الحديثِ مِن جهةِ السَّندِ، بلْ ويتكلَّمُ – أيْضًا – عن ضَعْفِ هذا المَسْلَكِ / المَذْهَبِ (**مَذْهَبِ القوْل بـ«حِسَابِ الجُمَّل»**) **وكان أصحابُ هذا المَذْهَبِ قد استدلُّوا بهذا الحديثِ على صِحَّةِ مَذْهَبِهم**؛ فقالوا: "... قدْ صرَّحَ هذا الخبَرُ بصِحَّةِ ما قُلنا في ذلك مِن التَّأْوِيلِ، وفسَادِ ما قالَه مُخالِفونا فيه"[١٧٤]، **وحُجَّتُهم في ذلك هي ضَحِكُ النَّبِيّ** (صلَّى الله عليه وسلَّم)، **وعَدَمُ إنْكَارِه عليهم ما قالوه مِن التَّأْوِيلِ**، فيكونَ هذا إقرارًا مِن النَّبِيّ (صلَّى الله عليه وسلَّم) بما قالوه – على حَدِّ زعْمِهم، لكنَّ الأمْرَ على خلافِ ذلك تمَامًا؛ يقولُ «**الطَّاهِرُ بنُ عَاشورَ**»: "**وليسَ في جوَابِ رسُولِ اللهِ [صلَّى الله عليه وسلَّم] إيَّاهُم بعِدَّةِ حُرُوفٍ أُخْرَى مِن هذه «الحروفِ المُتقطِّعةِ في أوائِلِ السُّوَرِ» – تقريرٌ لاعتبارها رُمُوزًا لأعدادِ مُدَّةِ هذه الأُمَّةِ، وإنَّما أرادَ إبْطالَ ما فَهِمُوهُ بإبْطالِ أنْ يكونَ مُفِيدًا لِزَعْمِهم**، على نحو الطَّريقة المُسمَّاة بـ(**النَّقض في الجَدَل**)،

ومَرجِعُها إلى **(المَنْع والمَانِع لا مَذْهَبَ لـه)**، **وأمَّا ضَحِكُه (صلَّى الله عليه وسلَّم)؛ فهو تَعَجُّبٌ مِن جَهْلِهم**..."[١٧٥].

وقدْ جعلَ الإمامُ «الشَّوْكَانِيُّ» مِن هذا الفَهْمِ الذي فَهِمَه «اليَهُودُ» دليلًا على أنَّ «العربَ» لمْ تتكلَّمْ بشيْءٍ مِن هذا؛ يقولُ (رحمه الله): "انظرْ كيفَ فَهِمَ «اليَهُودُ» عندَ سماعِ ﴿الٓمٓ﴾؛ فإنَّهم **لمَّا لمْ يَجِدُوها على نَمَطِ لُغَةِ «العربِ» فَهِمُوا أنَّ الحروفَ المَذْكُورَةَ رمْزٌ إلى ما يصطلِحون عليه مِن العددِ الذي يجعلونه لها**..."[١٧٦] ، ثمَّ ذكرَ حديثَ **«حُيَيِّ بنِ أَخْطَب»** هذا، ثمَّ قالَ: "... فانظرْ ما بلغتْ إليه أفْهَامُهم مِن هذا الأمْرِ المُخْتَصِّ بهم مِن عددِ الحروفِ، مع كونِه ليسَ مِن لُغَةِ «العربِ» في شيْءٍ، **وتأمَّلْ أيَّ مَوْضِعٍ أحقّ بالبيانِ مِن رسُولِ اللهِ (صلَّى الله عليه وسلَّم) مِن هذا المَوْضِع**، فإنَّ هؤلاء المَلاعِين قدْ جَعَلُوا ما فَهِمُوهُ عندَ سماعِ: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ﴾[١٧٧] مِن ذلك العددِ مُوجِبًا للتَّثبيطِ عن الإجابةِ لَه، والدُّخولِ في شريعتِه، **فلوْ كانَ لذلك مَعْنًى يُعْقَلُ، ومَدْلُولٌ يُفْهَمُ، لَدَفَعَ رسُولُ اللهِ (صلَّى الله عليه وسلَّم) ما ظنُّوه بادئَ بدْءٍ، حتَّى لا يتأثَّرَ عنه ما جاؤوا بهِ مِن التَّشكيك على مَن معهم**"[١٧٨].

ولعلَّ هذا ما دَفَعَ الإمامُ «الفَخْرُ الرَّازي» إلى تقريرِ قاعِدةٍ هامَّةٍ، وهي أنَّ حَمْلَ «الحروفِ المُقطَّعةِ» المَوْجُودَةِ في فواتِحِ السُّوَرِ على (حِسَابِ الجُمَّلِ)- باطِلٌ؛ يقولُ (رحمه الله): "ذهبَ أكثرُ المُتكلِّمِين إلى أنَّه يجبُ على المُكَلَّفِ تنزيلُ ألفاظِ «القُرآنِ» على المعاني التي هي مَوْضُوعَةٌ لها بحسبِ اللُّغةِ العربيَّةِ، فأمَّا حَمْلُها على مَعانٍ أُخَر لا بهذا الطَّريقِ؛ فهذا باطِلٌ قَطْعًا..."[١٧٩]؛ لأنَّ «اللهَ» (عزَّ وجلَّ) قالَ في كتابِه العزيزِ: ﴿قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا﴾[١٨٠]؛ يقولُ «**الرَّازيُّ**»: "**وإنَّما سمَّاه (عربيًّا) لكونِه دالًّا على هذه المعاني المَخْصُوصَةِ بوَضْعِ العربِ وباصْطلاحاتِهم**، وذلك يدلُّ على أنَّ دلالةَ هذه الألفاظِ لمْ تَحْصُلْ إلَّا على تلك المَعاني المَخْصُوصَةِ، وأنَّ ما سواه فهو باطِلٌ"[١٨١].

والغريبُ –حقًّا – ليسَ فيما ذهبَ إليه «اليَهُودُ» في شَأْنِ تلك الحروفِ، فهُمْ أهْلُ الضَّلالِ والشُّبُهاتِ، ولكنَّ الغريبَ في اعتمادِ بعضِ أهْلِ العِلمِ ذلك الرَّأيَ؛ يقولُ «**السُّهَيْلِيُّ**»: "لعلَّ عددَ الحروفِ التي في أوائِل السُّوَرِ مع حَذْفِ المُكرَّرِ للإشارةِ إلى مُدَّةِ بقاءِ هذه الأُمَّةِ"(١٨٢)، قال: «**ابنُ حَجَر**» (رحمه الله): "وهذا باطِلٌ لا يُعتَمَدُ عليه، فقدْ ثبَتَ عن «ابنِ عبَّاسٍ» (رضى الله عنهما) الزَّجْرُ عن **(عدِّ أبي جَادٍ)**، والإشارةُ إلى أنَّ ذلك مِن جُمْلَةِ السِّحْرِ، وليسَ ذلك ببعيدٍ، فإنَّه لا أصْلَ له في الشَّريعَةِ"(١٨٣).

وأمَّا ما رَوَوْهُ عن «الصَّحابةِ» (رضوان الله عليهم)؛ فإنَّ فيه ما لمْ يتَّصِلْ سَنَدُه، وأمَّا ما اتَّصَلَ سَنَدُه؛ فمُخْتَلِفٌ مُتَنَاقِضٌ، "... فإنْ عَمِلْنا بما قالَه أحَدُهم دونَ الآخرِ كانَ تحَكُّمًا لا وَجْهَ له، وإنْ عَمِلْنا بالجميعِ كان عَمَلًا بما هو مُخْتَلِفٌ مُتَنَاقِضٌ، ولا يجوزُ"(١٨٤)، على نحوِ ما قالَ الإمامُ «**الشَّوْكَانِيُّ**»، ويضيفُ (رحمه الله) مَانِعًا آخرَ غيْرَ هذا المَانِع يمنعُ مِن العمَلِ بهذا المَرْوِيِّ عنهم، فيقولُ: "... ثمَّ – ههنا – مَانِعٌ غيْرُ هذا المَانِعِ، وهو أنَّه **لو كان شيْءٌ ممَّا قالوه مَأْخُوذًا عن النَّبِيِّ (صلَّى الله عليه وسلَّم) لاتَّفقوا عليه، ولمْ يختلفوا، كسَائِر ما هو مَأْخُوذٌ عنه، فلمَّا اختلفوا في هذا علِمنا أنَّه لمْ يَكُنْ مَأْخُوذًا عن النَّبِيِّ (صلَّى الله عليه وسلَّم)، ثمَّ لوْ كان عندهم شيْءٌ عن النَّبِيِّ (صلَّى الله عليه وسلَّم) في هذا لَمَا تركوا حكايَتَه عنه، ورفعَه إليه، لا سيَّما عندَ اختلافِهم، واضطرابِ أقوالِهم، في مِثْلِ هذا الكلامِ الذي لا مَجَالَ للُغةِ العربِ فيه، ولا مَدْخَلَ لها**"(١٨٥)، ثمَّ يضيفُ قائِلًا: "فإنْ قُلْتَ: هل يجوزُ الاقتداءُ بأحَدٍ مِن «الصَّحابةِ» قالَ في تفسيرِ شيْءٍ مِن هذه الفواتحِ قوْلًا صَحَّ إسنادُه إليه؟ قلتُ: لا؛ لِمَا قدَّمناه، إلَّا أنْ يُعْلَمَ أنَّه قالَ ذلك عنْ عِلْمٍ أخَذَه عن رسُولِ اللهِ (صلَّى الله عليه وسلَّم). فإنْ قُلْتَ: هذا ممَّا لا مَجَالَ للاجتهادِ فيه، ولا مَدْخَلَ للُغةِ العربِ، فلِمَ لا يكونُ له حُكْمُ الرَّفْعِ؟ قلتُ: تنزيلُ هذا مَنْزِلَةَ المَرْفُوعِ، وإنْ قالَ به طائِفةٌ مِن «أهْلِ الأصُولِ» وغيْرِهم، فليس مِمَّا يَنْشَرِحُ له صُدورُ المُنصِفِين، ولا سِيَّما إذا كان في مِثْلِ هذا المَقامِ، وهو التَّفسِيرُ لكلامِ «**اللهِ**» (سبحانه)، فإنَّه

دُخُولٌ في أعظمِ الخَطَرِ بمَا لا بُرهانَ عليه صَحِيحَ، إلا مُجَرَّدَ قولِهم: إنَّه يبعدُ مِن «الصَّحابيِّ» كلَّ البُعْدِ أنْ يقولَ بمَحْضِ رأيِهِ، فيمَا لا مَجَالَ فيه للاجتهادِ، وليسَ مُجَرَّدُ هذا الاستبعادِ مُسَوِّغًا للوقوعِ في خَطَرِ الوَعِيدِ الشَّدِيدِ. على أنَّه يمكنُ أنْ يذهبَ بعضُ «الصَّحابةِ» إلى تفسيرِ بعضِ المُتشابِهِ، كما تجدُه كثيرًا في تفاسيرِهم المَنْقُولَةِ عنهم، ويجعلُ هذه الفواتحَ مِن جُمْلَةِ المُتشابِهِ"[١٨٦].

أقولُ: «الصَّحابةُ» (رضوانُ اللهِ عليهم) همْ أسْلمُ النَّاسِ قَصْدًا بعدَ الأنبياءِ والمرسلين، وأخْوَفُ هذه الأمَّةِ مِن «**اللهِ**» (عزَّ وجلَّ)، وأبْعَدُهم عن الخَوْضِ فيمَا لا عِلمَ لهم بهِ، ولو كانَ الخَوْضُ في مِثْلِ هذا ممَّا لا ينبغي لَمَا فاتَ النَّبِيُّ (صلَّى الله عليه وسلَّم) التنبيهَ عليهِ، وقدْ قامَ الدَّاعِي لإنكارِه، كما جاءَ في حديثِ «حُيَيِّ بنِ أَخْطَبَ» السَّابقِ. هذا على افتراضِ صِحَّتِه، وإلَّا فإنَّه لمْ يَرِدْ إلَيْنا – فيما اسْتقرأتُه مِن أحاديثِ هذا البابِ – أنَّ النَّبِيَّ (صلَّى الله عليه وسلَّم) نَهَى أحَدًا مِن أصحابِه عن الخَوْضِ في مِثْلِ هذا، كما أنَّه لمْ يَرِدْ أنَّ أحَدًا مِن «الصَّحابةِ» (رضوانُ اللهِ عليهم) سَألَ النَّبِيَّ (صلَّى الله عليه وسلَّم) في شيْءٍ مِن ذلك، فهلْ كانتْ تلك الحروفُ ذاتَ دلالاتٍ مَعْرُوفَةٍ فيمَا بيْنهم، أمْ أنَّهم أدْرَكوا أنَّ مُرادَ «**اللهِ**» مِنها هو مُقتضَى التَّسْلِيمِ لها! «**اللهُ**» ورسولُه أعْلمُ.

ويلحقُ مَا قالَه «التَّابعون» (رحمهم الله) بمَا قالَه «الصَّحابةُ الكرامُ» (رضي الله عنهم) نَقْدًا وتَحْلِيلًا، وأزيدُ عليه: أنَّهم – أي: «التَّابعِين» – حالَ اختلافِهم لا يكونُ قوْلُ بعضِهم حُجَّةً على بعضٍ، ولا على مَن جاءَ بعدَهم، كما أشارَ إلى ذلك شيْخُ الإسْلامِ «ابنُ تيْمِيَة» (رحمه الله) في مُقدِّمَتِهِ[١٨٧].

هذا عن استدلالِهم بالمنقولِ، **وأمَّا استدلالُهم بالمَعْقُولِ؛**

فكانَ حريًّا بالقبولِ لوْلا أنَّ اعتبارَ المُخاطَبةِ بتلك الحروفِ–حالَ كَوْنِها غيْرَ مَعْلُومَةِ المَعنى–تجري مَجْرَى مُخاطَبةِ العَرَبِيِّ باللُّغةِ الزِّنجيَّةِ–**اعْتبَارٌ فاسِدٌ مِن وُجُوهٍ:**

أوَّلُها: أنَّ تلك الحروفَ هي مِن جِنْسِ حروفِهم.

ثانيها: أنَّ المُفسِّرين الذين ذهبُوا إلى أنَّها غيْرُ مَعْلُومَةِ المَعنى منهم مَن بحثَ عنْ سِرِّ إنْزالِها على تلك الهَيْئَة، ومَعْلُومٌ أنَّنا لو اعْتبَرْنا ذلك السِّرَّ مَعْنًى مَقْبُولًا؛ فإنَّ تلك الحروفَ – رغمَ الجَهْلِ بحقيقةِ مَعناها – تكونُ قدْ أدَّتْ مَعْنًى ما، فكيفَ تُنَزَّلُ مَنْزِلَةَ اللُّغةِ الزِّنجيَّةِ التي – حتمًا – لا يُدرِك العربيُّ مِن قريبٍ أو بعيدٍ منها مَعنًى أيَّ مَعنًى حالَ مُخاطَبَتِه بها.

ثالثها: أنَّ العَربَ أنفسَهم لمْ يستغربُوها أو يُنكِرُوها، وهمْ في أمَسِّ الحاجةِ إلى مَغْمَزٍ يُوهِنون به حُجَّةَ «مُحَمَّدٍ»(صلَّى الله عليه وسلَّم)،ويُقَوُّون به حُجَّتَهم، فهلْ كانَ ذلك مِن فَرْطِ جَهْلِهم بها، أمْ أنَّهم أدركوا مَقْصِدَ التَّحدِّي فيها مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ.

وأمَّا القوْلُ بأنَّ "... **المَقْصُود مِن الكلامِ (الإفهَام)، فلوْ لمْ يَكُنْ مَفْهُومًا لكانت المُخاطَبةُ به عَبَثًا وسَفَهًا، وإنَّه لا يليقُ بـ«الحَكِيم»** ..."؛ فإنَّه مَعْلُولٌ بأنَّ «اللهَ» (سبحانه) خاطَبَنا بمَا نَعْجَزُ عن إدْرَاكِ مَعناه، فقالَ عن **(شجَرةِ الزَّقُّوم)**: ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ۝ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ﴾[١٨٨]، فمَن مِنَّا رأى تلك الشَّجَرةَ، ومَن مِنَّا رأى **(رؤوسَ الشَّياطِينِ)**، لا أحَدَ، ومعَ ذلك لا تجِدُ أحَدًا مِن العُلماءِ أنزلَ ذلك مَنْزِلَةَ العَبَثِ والسَّفَهِ، بلْ جعلوه كلامًا بليغًا قُصِدَ بهِ تشبيهُ ذلك المَجْهُولِ **(شجَرةِ الزَّقُّومِ)** بمَجْهُولٍ آخرَ هو أقربُ منه في التَّصَوُّرِ باعتبارِه صُورَةً مُسْتَبْشَعَةً في ذِهْنِ المُتلقِّين – ألَا وهو **(رؤوسُ الشَّياطينِ)**، فكما ترى في هذا التشبيهِ أنَّه **لمْ يقدحْ عَدَمُ مَعْرِفَتِنا بهذيْن المَجْهُولَيْن في قَصْدِ (الإفهَامِ)**، فكذلك – ههنا –؛ فإنَّنا وإنْ كنَّا لا نعلمُ ما هي ﴿الٓمٓ﴾، لكنَّنا نجدُها حروفًا مُفْرَدَةً، تلك الحروفُ هي نفسُها التي جاءتْ مُؤَلَّفَةً في بقيَّةِ «القُرآنِ»، وكأنَّه **أشارَ بالمُفْرَدِ إلى إعْجَازِ المُؤَلَّفِ**، وبهذا يخرجُ الخِطابُ بها عن العَبَثِ والسَّفَهِ، و«**اللهُ**» أعلمُ بمُرادِه.

وأمَّا الوَجْهُ الثَّالثُ مِن وُجُوهِ استدلالِهم بالمَعْقُولِ، وهو "... **أنَّ التَّحدِّي وقعَ بـ«القُرآنِ»، وما لا يكونُ مَعْلُومًا لا يجوزُ وقوعُ التَّحدِّي بهِ** ... "؛ فإنَّ فيهِ ما يُضْعِفُ الاستدلالَ بهِ، فالتَّحدِّي إنَّما وقعَ بـ«**القُرآنِ**» كلِّهِ، و«**القُرآنُ**» مَعْلُومُ المَعنى في جُمْلَتِهِ، وأمَّا أنَّ هذه الحروفَ غيْرُ مَعْلُومَةِ المَعنى؛ فإنَّ أحَدًا لمْ يَقُلْ أنَّ التَّحدِّيَ

وقعَ بها وَحْدَها مَخْصُوصَةً مِن جُمْلَةِ «**القُرآنِ**»، حتَّى يكونَ عدمُ مَعْرِفَةِ مَعناها قادِحًا في ذلك التَّحدِّي، بلْ **إنَّ هذه الحروفَ بمَثابَةِ الإشارةِ – ولوْ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ – إلى أنَّ ذلك المُتَحَدَّى به – وهو جُمْلَةُ «القُرآنِ» – إنَّما هو مِن جِنْسِ حروفِهم التي يَنْظِمُون مِنها كلامَهم، لكنَّهم مع ذلك عَجَزُوا عن مُحَاكاتِه، فكانتْ تلك الحروفُ دالَّةً على التَّحدّي رغمَ جَهْلِ هؤلاءِ «العَربِ» بحقيقةِ مَعناها**. ثمَّ إنَّه لوْ كان التَّحدِّي وَاقِعًا بتلك الحروفِ وَحْدَها، فمَا الذي أعْجَزَ «**فُصَحاءَ العَربِ**» عن أنْ يقولوا مِثْلَها، فيُعَدِّدُوا حروفًا غيْرَها؟!

وأمَّا تلك الأوصَافُ التي ذكرَ «**الألُوسِيُّ**» أنَّها تَنْفَكُّ عن «**القُرآنِ**» حالَ كَوْنِ هذه الحروف غيْرَ مَعْلُومَةِ المَعنى؛ فإنَّ فيمَا أوْرَدْتُه في صَدْر هذا المَبْحَثِ عند نَقْدِ وتَحْلِيلِ اسْتدلالِ أصْحابِ هذا المَذْهَبِ بالآياتِ – ما يُغْنِي عن إعَادَةِ المَقالَةِ فيه خشيَةَ الإمْلالِ والإطالةِ، و«اللهُ» أعلمُ بحقيقةِ المُرادِ.

***

اختياراتُ المفسّرين للمَذْهَبِ الثَّاني:

اختارَ هذا الرأيَ جماعةٌ مِن المُفسّرين، وجُلُّ المُتكلّمين، وجمهورُ أهلِ التَّأويلِ؛ يقولُ «**ابنُ عطيَّةَ الأندلسيّ**»: "اختُلِفَ في الحروفِ التي في أوائلِ السُّوَرِ على قولين: قالَ «الشّعبيُّ عامرُ بنُ شراحيلَ» و«سُفيانُ الثَّوريُّ» وجماعةٌ مِن المُحدّثين: "**هي سرُّ «اللهِ» في «القرآنِ»، وهي مِن المُتشابِهِ الذي انفردَ «اللهُ» بعلمِه، ولا يجبُ أنْ يُتَكَلَّمَ فيها، ولكنْ يُؤْمَنُ بها وتُمَرُّ كما جاءتْ**". وقالَ الجمهورُ مِن العلماءِ: "**بلْ يجبُ أنْ يُتَكَلَّمَ فيها، وتُلْتَمَسَ الفوائدُ التي تحتَها، والمَعاني التي تتخرَّجُ عليها**"[(١٨٩)]. واختارَ (رحمه الله) مَذْهَبَ الجمهورِ مِن العُلماءِ؛ فقالَ: "**والصَّوابُ ما قالَه الجمهورُ أنْ تُفَسَّرَ هذه الحروفَ، ويُلْتَمَسَ لها التَّأويلُ**"[(١٩٠)]، وعلَّل ذلك باستخدامِ «العَربِ» لها؛ يقولُ: "... لأنَّا نجدُ «العربَ» قدْ تكلَّمتْ بِـ«**الحروفِ المُقطَّعةِ**» نَظْمًا لها، ووَضْعًا بدلَ الكلماتِ التي الحروفُ منها، كقولِ الشَّاعرِ: [الوَلِيدِ بنِ المُغِيرَة] [الرَّجز]:

*** قُلْنَا لَهَا قِفِي فَقَالَتْ قَافِ ***

أرَادَ: "**قالتْ: وَقَفْتُ**"، وكقولِ القائلِ: [زُهَيْرِ بنِ أبي سُلْمَى] [الرَّجز]:

بِالْخَيْرِ خَيْرَاتٍ وَإِنْ شَرًّا فَـا وَ لَا أُرِيدُ الشَّرَّ إِلَّا أَنْ تَـا

أرَادَ: (**وَإِنْ شَرًّا فَشَرٌّ**)، وأرَادَ: (**إِلَّا أَنْ تَشَاءَ**). والشَّواهدُ في هذا كثيرةٌ، فليسَ كونُها في «القُرآنِ» ممَّا تنكرُه «العربُ» في لغتِها، فينبغي إذا كانَ مِن معهودِ كلامِ «العربِ» أنْ يُطْلَبَ تأويلُه، ويُلْتَمسَ وَجْهُه"[١٩١].

هذا كلامُه؛ وقدْ وَجَدْنَا الجمهورَ مِن المُفسِّرين – أصْحَابَ «مَذْهَبِ الخَوْضِ» – قدْ اختلفُوا في بيانِ معاني تلك الحروفِ، وذهبُوا في ذلك مذاهبَ شتَّى، فاختارَ «**أبو عُبَيْدَةَ**» (رحمه الله) أنَّها **حروفٌ استُفْتِح بها**؛ حيثُ يقولُ في معني ﴿الٓمٓ﴾ «البقرة»: "ومعني ﴿الٓمٓ﴾: افتتاحٌ، مُبْتَدَأُ كلامٍ، شعارٌ للسُّورةِ"[١٩٢].

وذهبَ «**الأخْفَشُ الأوْسَطُ**» إلى "... أنَّها **حروفٌ إذا وُصِلَتْ كانتْ هجاءً لشيْءٍ يُعْرَفُ معناه**"[١٩٣]؛ يقولُ(رحمه الله): "وقدْ أُوتِيَ بعضُ النَّاسِ علمَ ذلك، وذلك أنَّ بعضَهم كانَ يقولُ:﴿الٓر﴾﴿حمٓ﴾﴿نٓ﴾– هذا هو اسْمُ «**الرَّحْمَن**» (جلَّ وعزَّ)، وما بَقِيَ منها فنَحْوُ هذا، وقالوا: إنَّ قولَه: ﴿كٓهيعٓصٓ﴾: (**كافٍ، هادٍ، عالمٌ، صادقٌ**)، فأظهرَ مِن كلِّ اسمٍ منها حرفًا ليُسْتَدَلَّ به [عليه]..."[١٩٤].

وإلى هذا ذهبَ «**ابنُ الأنبَارِيّ**» (رحمه الله)[١٩٥]، وكذلك فعَلَ «**أبو إسْحَاق الزَّجَّاج**»؛ حيثُ يقولُ بعدَ مَا أوْرَدَه مِن أقوالِ بعضِ السَّلفِ في «**الحروفِ المُقطَّعةِ**» مُوضِّحًا اختيارَه بعضَ ما رُوِيَ عن «ابنِ عبَّاسٍ» (رضى الله عنهما) في معنى هذه الحروفِ؛ يقولُ (رحمه الله): "فهذا جميعُ ما انتهَى إلينا مِن قولِ «**أهلِ اللُّغةِ**» و«**النَّحْوِيّين**» في معنى ﴿الٓمٓ﴾، وجميعُ ما انتهَى إلينا مِن [كلام] «**أهلِ العلمِ بالتفسيرِ**»... والذي أختارُه مِن هذه الأقوالِ التي قِيلَتْ في قولِه (عزَّ وجلَّ): ﴿الٓمٓ﴾ – بعضَ ما يُرْوَى عن «ابنِ عبَّاسٍ» (رحمة الله عليه)؛ وهو أنَّ المعني: ﴿الٓمٓ﴾:

(أَنَا اللهُ أعلمُ)، وأنَّ كلَّ حرفٍ منها له تفسيرُه، والدَّليلُ على ذلك أنَّ «العربَ» تنطقُ بالحرفِ الواحدِ تدلُّ به على الكلمةِ التي هو منها؛ قال الشَّاعرُ:

قُلْنَا لَهَا قِفِي قَالَتْ قَافِ لَا تَحْسَبِي أَنَّا نَسِينَا الْإِيجَافَ

فنطقَ بـ**(قاف)** فقطْ، يريدُ: **(قَالَتْ أَقِفُ)**. وقالَ الشاعرُ – أيضًا–:

نَادَوْهُمُو أَنِ الْجِمُوا أَلَا تَا قَالُوا جَمِيعًا كُلُّهُم: أَلَا فَا

تفسيرُه: نَادَوْهُمُو أنِ الجِمُوا، **أَلَا تَرْكَبُونَ**، قَالُوا جَمِيعًا: **أَلَا فَارْكَبُوا**، فإنَّما نطقَ بـ**(تاء)** و**(فاء)** كما نطق الأوَّل بـ**(قاف)**..."[١٩٦]، ثمَّ قالَ: "فهذا الذي أختارُه في هذه الحروفِ، و«**اللهُ**» أعلمُ بحقيقتِها"[١٩٧].

واختارَ «**ابنُ قُتَيْبَةَ**» أنَّها **أسماءٌ للسُّوَرِ**، أو **أقسَامٌ أقسَمَ «اللهُ» بها لِشَرَفِها**، أو **بعضٌ مِن صفاتِ «اللهِ» (سبحانه)**؛ يقولُ (رحمه الله): "ولكلِّ مَذْهَبٍ مِن هذه المَذاهِب وَجْهٌ حَسَنٌ، ونرجو ألَّا يكونَ ما أُرِيدَ بالحروفِ خارجًا منها، **فإنْ كانتْ أسماءَ للسُّوَرِ**؛ فهي أعلامٌ تدلُّ على ما تدلُّ عليه الأسماءُ مِن أعيانِ الأشياءِ، وتفرِّق بينها ... **وإنْ كانتْ أقسامًا**؛ فيجوزُ أنْ يكونَ «**اللهُ**» (عزَّ وجلَّ) أقسَمَ بـ«**الحروفِ المُقطَّعةِ**» كلِّها، واقتصَرَ على ذكْرِ بعضِها مِن ذكْرِ جميعِها، فقالَ: ﴿الٓمٓ﴾ وهو يريدُ جميعَ «**الحروفِ المُقطَّعةِ**»...**وإنْ كانتْ حروفًا مأخوذةً مِن صفاتِ «اللهِ»**؛ فهذا فنٌّ مِن اختصارِ «العربِ»، وقلَّما تفعلُ «العربُ» شيئًا في الكلامِ المُتَّصلِ الكثيرِ إلَّا فعلتْ مثلَه في الحرفِ الواحدِ المُنقطِعِ"[١٩٨]، **ولعلَّ الأرجحَ مِن وجهَةِ نظرِه أنَّها للقَسَمِ**؛إذ يقول: "وإنَّمَا أقسَمَ «**اللهُ**» بحروفِ المُعْجَمِ؛ لشَرَفِها وفضلِها، ولأنَّها مَبانِي كُتُبِه المُنزَّلةِ بالألسنةِ المُختلِفةِ، ومَبانِي أسمائِه الحُسْنَى وصفاتِه العُلَى، وأُصُولُ كلامِ الأُمَمِ، بها يتعارفون، ويذكرون «**اللهَ**» ويوحِّدون"[١٩٩]، بلْ وحَمَلَ الرَّأيَ القائلَ بأنَّها حروفٌ مأخوذةٌ مِن صفاتِ «**اللهِ**» (عزَّ وجلَّ) على القسَمِ –أيضًا–؛ فيقولُ: "ومَن ذهبَ إلى هذا المَذْهَبِ فلا أرَاهُ أرَادَ –أيضًا– إلَّا القسَمَ

بصِفاتِ «اللهِ»، فجَمَعَ بِـ«**الحروفِ المُقطَّعةِ**» معانيَ كثيرةً مِن صفاتِه، لا إلـهَ إلَّا هو"(٢٠٠).

واختارَ شيخُ المفسِّرين الإمامُ «**ابنُ جريرٍ الطَّبريّ**» أنَّها **حُروفٌ مُقطَّعةٌ أرَادَ (عزَّ ذكْرُه) بلَفْظِه الدَّلالةَ بكلِّ حرفٍ منها على معانٍ كثيرةٍ، لا على معنى واحدٍ**؛ يقولُ (رحمه الله): "والصَّوابُ مِن القولِ عندي في تأويلِ مَفاتحِ السُّوَرِ، التي هي حروفُ المُعْجَمِ: أنَّ «**اللهَ**» (جلَّ ثناؤه) جعلَها «**حُروفًا مُقطَّعةً**»، ولمْ يَصِلْ بعضَها ببعضٍ، فيجعلها كسائرِ الكلامِ المُتَّصِلِ الحروفِ؛ **لأنَّه (عزَّ ذكْرُه) أرَادَ بلَفْظِه الدلالةَ بكلِّ حرفٍ منه على معانٍ كثيرةٍ، لا على معنى واحدٍ**، كما قالَ «**الرَّبيعُ بنُ أنَسٍ**»(٢٠١)، وإنْ كانَ «**الرَّبيعُ**» قدْ اقتصرَ به على معانٍ ثلاثةٍ، دونَ ما زادَ عليها. **والصَّوابُ في تأويلِ ذلك عندي: أنَّ كلَّ حرفٍ منه يحوي ما قالَه «الرَّبيعُ»، وما قالَه سائرُ المُفسِّرين غيرُه فيه** – سوى ما ذكرتُ مِن القولِ عمَّنْ ذكرتُ عنه مِن «أهلِ العربيَّةِ»: أنَّه كانَ يُوجِّهُ تأويلَ ذلك إلى أنَّه (**حروف هجاءٍ**) استُغنِيَ بذِكْرِ ما ذُكِرَ منه في (**مَفاتيحِ السُّوَرِ**)، عنْ ذِكْرِ تتمَّةِ الثَّمانيةِ والعشرين حرفًا مِن حُروفِ المُعْجَمِ، بتأويلِ: "**أنَّ هذه الحروفَ ذلك الكتابُ مجموعةً، لا ريبَ فيه**"– فإنَّه قولٌ خطأٌ فاسدٌ؛ لخروجه عن أقوالِ جميعِ «**الصَّحابةِ**» و«**التَّابعين**» ومَن بعدَهم مِن الخالِفين مِن «**أهلِ التَّفسيرِ والتَّأويلِ**»... فكفى دلالةً على خَطَئِه شهادةُ الحُجَّةِ عليه بالخطأ"(٢٠٢).

هذا؛ **وقدْ يَطْرَأُ –ههنا– على الذِّهنِ سُؤالٌ يُنْبِئُ عن إشكالٍ؛ وهو: كيفَ يجوزُ أنْ يكونَ حرفٌ واحدٌ شاملًا الدلالةَ على معانٍ كثيرةٍ مختلفةٍ؟!** يُجِيبُ الإمامُ «**الطَّبريُّ**» عن هذا؛ فيقول:"...كمَا جازَ أنْ تكونَ كلمةٌ واحدةٌ تشتملُ على معانٍ كثيرةٍ مُختلِفةٍ، كقولِهم للجماعةِ مِن النَّاسِ:(**أُمَّة**)، وللحينِ مِن الزَّمانِ: (**أُمَّة**)، وللرَّجلِ المُتعبِّد المُطيعِ للهِ: (**أُمَّة**)، وللدِّينِ والمِلَّةِ: (**أُمَّة**). وكقولِهم للجزاءِ والقصَاصِ: (**دين**)، وللسُّلطانِ والطَّاعةِ: (**دين**)، وللتَّذلُّلِ: (**دين**)، وللحسابِ: (**دين**)، في أشباهٍ لذلك كثيرةٍ يطولُ الكتابُ بإحصَائِها – ممَّا يكونُ مِن الكلامِ بلفظٍ واحدٍ، وهو مُشْتَمِلٌ

على معانٍ كثيرةٍ. وكذلك قولُ «اللهِ» (جلَّ ثناؤه): ﴿الٓمٓ﴾ و ﴿الٓرٰ﴾ و ﴿الٓمٓصٓ﴾ وما أشبهَ ذلك مِن «**حروفِ المُعْجَمِ**» التي هي «**فواتحُ أوائلِ السُّوَرِ**»، **كلٌّ حرفٍ منها دالٌّ على معانٍ شتَّى، شاملٌ جميعُها مِن أسماءِ «اللهِ» (عزَّ وجلَّ) وصفاتِه ما قالَه المُفسِّرون مِن الأقوالِ التي ذكَرْنَا عنهم. وهُنَّ مع ذلك (فواتحُ السُّوَرِ)، كما قالَه مَن قالَ ذلك.** وليسَ كونُ ذلك مِن حروفِ أسماءِ «اللهِ» (جلَّ ثناؤه) وصفاتِه – بمانِعِها **أنْ تكونَ للسُّوَرِ فَواتِحًا**؛ لأنَّ «اللهَ» (جلَّ ثناؤه) قدْ افتَتَحَ كثيرًا مِن سُوَرِ «القرآنِ» بالحَمْدِ لنفسِه والثَّناءِ عليها، وكثيرًا منها بتمْجِيدِها وتعْظِيمِها، فغيرُ مُستحِيلٍ أنْ يبتدئ بعضَ ذلك بالقَسَمِ بها .. فالتي أُبْتُدِئَ أوائلُها بحروفِ المُعْجَمِ، أحَدُ معاني أوائلِها: أنَّهُنَّ فواتِحُ ما افْتُتِحَ بهِنَّ مِن سُوَرِ «القرآنِ». **وهُنَّ ممَّا أقْسَمَ بهِنَّ**؛ لأنَّ أحَدَ معانيهِنَّ أنَّهُنَّ مِن حروفِ أسماءِ «اللهِ» (تعالى ذكْرُه) وصفاتِه، على ما قدَّمْنا البيانَ عنها، ولا شكَّ في صِحَّةِ معنى القَسَمِ بـ«اللهِ» وأسمائِه وصفاتِه. وهُنَّ مِن حروفِ **(حسابِ الجُمَّلِ)**. وهُنَّ للسُّوَرِ التي أُفْتُتِحَتْ بهِنَّ **شِعَارٌ وأسماءٌ**. فذلك يحوي مَعانيَ جميعِ ما وَصَفْنَا، ممَّا بيَّنَّا مِن وُجُوهِهِ؛ **لأنَّ «اللهَ» (جلَّ ثناؤه) لوْ أرَادَ بذلك – أو بِشَيْءٍ منه – الدَّلالَةَ على معنًى واحدٍ ممَّا يَحْتَمِلُه ذلك، دونَ سائرِ المعاني غيرِه – لأبَانَ ذلك لهُم رسُولُ اللهِ (صلَّى الله عليه وسلَّم) إبانةً غيْرَ مُشكِلةٍ؛ إذْ كانَ (جلَّ ثناؤه) إنَّما أنزلَ كتابَه على رسولِه (صلَّى الله عليه وسلَّم)؛ ليُبَيِّنَ لهم ما اختلفوا فيه، وفي تَرْكِهِ (صلَّى الله عليه وسلَّم) إبانَةَ ذلك – أنَّه مُرادٌ به مِن وُجُوهِ تأويلِه البعضَ دونَ البعضِ – أوضحُ الدَّليلِ على أنَّه مُرادٌ به جميعَ وُجُوهِه التي هو لها مُحْتَمِلٌ**؛ إذْ لمْ يكنْ مستحيلًا في العَقْلِ وَجْهٌ منها أنْ يكونَ مِن تأويلِه ومعناه، كما كانَ غيْرَ مُستَحيلٍ اجتماعُ المَعاني الكثيرةِ للكلمةِ الواحِدةِ باللَّفظِ الواحِدِ في كلامٍ واحِدٍ"[٢٠٣].

يرى الإمامُ «**الطَّبَريُّ**» –إذنْ– أنَّه ليسَ مِن مانعٍ يمنعُ مِن اشتمالِ «**الحروفِ المُقطَّعةِ**» على معانٍ كثيرةٍ مُختلِفةٍ، قياسًا على ما يكونُ في غيرِها مِن **(الحروفِ المُؤتلِفةِ)** كما في لفظِ **(أُمَّة)** و**(دين)**؛ يقولُ (رحمه الله): "**ومَن أبَى ما**

قلناه في ذلك، سُئِلَ الفرقَ بينَ ذلك، وبينَ سائرِ الحروفِ التي تأتي بلفظٍ واحدٍ، مع اشتمالها على المعاني الكثيرةِ المُختلِفةِ، كـ(الأُمَّة) و(الدّين) وما أشبهَ ذلك مِن الأسماءِ والأفعالِ. فلنْ يقولَ في واحدٍ مِن ذلك قولًا إلَّا أُلْزِمَ في الآخَرِ مثلَه. وكذلك يُسأَلُ كلُّ مَن تأوَّل شيْئًا مِن ذلك – على وَجْهٍ دونَ الأوْجُهِ الأُخَرَ التي وَصَفْنا – عن البرهانِ على دعواهُ، مِن الوَجْهِ الذي يجبُ التَّسليمُ له. ثمَّ يُعارَضُ بقَوْلِ مُخالِفِهِ في ذلك، ويُسْأَلُ الفرق بينه وبينه: من أصْل، أو ممَّا يدلُّ عليه أصْل. فلنْ يقولَ في أحَدِهما قولًا إلَّا أُلْزِمَ في الآخَر مثلَه"(٢٠٤).

هكذا أثبتَ الإمامُ «الطَّبريُّ» لتلك الحروفِ كلَّ ما جاءَ في شأنِها مِن المعاني جامِعًا بينها، مُسْتَثْنِيًا منها القولَ بأنَّها حروفُ هجاءٍ أُستُغنِيَ بذكرِ ما ذُكِرَ منها عن تتمَّتِها، والعلَّةُ في ذلك خروجُ هذا القولِ عن أقوالِ جميعِ «الصَّحابةِ» و«التَّابعين» ومَن جاءَ بعدَهم مِن الخالِفين مِن «أهلِ التَّفسيرِ والتَّأويلِ». وما أسْتَغْرِبُه – حقًّا – مِن صنيعِ هذا الإمامِ الجليلِ عدمَ إنكارِهِ القولَ بأنَّها مِن حروفِ (حِسَابِ الجُمَّلِ) للعِلَّةِ ذاتِها التي أنْكَرَ بها ما أنْكَرَه، هذا بخلافِ ما قدْ يُؤدِّي إليه (مَذْهَبُ الجَمْعِ) بيْن المعاني المُختلِفةِ مِن الجَمْعِ بيْن المُتناقِضاتِ، وهو مُتَعَذِّرٌ.

هذا؛ وقدْ **اختارَ (مَذْهَبَ الجَمْعِ) جماعةٌ مِن المُفسِّرين**؛ منهم «**ابنُ فَارِسٍ**»، حكَى ذلك عنه وعن غيرِه «**الزَّرْكَشِيُّ**» في «**البُرهان**»؛ يقولُ (رحمه الله): "**واختارَ «ابنُ فَارِسٍ» وغيرُه أنْ تُجْعَلَ هذه التَّأويلاتُ كلُّها تأويلًا واحدًا؛ فيُقال: إنَّ «اللهَ» (جلَّ وعلا) افتتحَ السُّوَرَ بهذه الحروفِ إرادةً منه الدَّلالةَ بكلِّ حرفٍ منها على معانٍ كثيرةٍ، لا على معنًى واحدٍ**، فتكون هذه الحروفُ جامعةً لأنْ تكونَ افتتاحًا، وأنْ يكونَ كلُّ واحدٍ منها مأخوذًا مِن اسْمٍ مِن أسماءِ «**اللهِ**» (تعالى)، وأنْ يكونَ «**اللهُ**» (عزَّ وجلَّ) قدْ وَضَعَها هذا الوَضْعَ فسَمَّى بها، وأنَّ كلَّ حرفٍ منها في آجالِ قومٍ وأرزاقِ آخرِين، وهي معَ ذلك مأخوذةٌ مِن صفاتِ «**اللهِ**» (تعالى) في إنعامِه وإفضالِه ومجدِه، وأنَّ الافتتاحَ بها سببٌ لأنْ يَسمَع «**القرآنَ**» مَن لمْ يكنْ سَمِعَ، وأنَّ

فيها إعلامًا للعربِ أنَّ «**القرآنَ**» الدَّالَّ على نُبُوَّةِ «**مُحَمَّدٍ**» (صلَّى الله عليه وسلَّم) بهذه الحروفِ، وأنَّ عَجْزَهم عن الإتيانِ بمثلِه مع نزولِه بالحروفِ المُتعالَمةِ بينهم دليلٌ على كُفْرِهم وعِنادِهم وجُحُودِهم، وأنَّ كلَّ عددٍ منها إذا وقعَ أوَّل كلِّ سورةٍ فهو اسْمٌ لتلك السُّورةِ. قالَ: **وهذا القولُ الجامِعُ للتأويلاتِ كُلِّها، و«اللهُ» أعلمُ بما أرادَ مِن ذلك**"[٢٠٥].

واختارَه – أيضًا – مِن المُفسِّرين «**شهابُ الدِّينِ الألوسيُّ**»؛ إذْ يقولُ: "وإذا عَلِمْتَ أنَّ هذه الفواتحَ السِّرُّ الأعظمُ، والبحرُ الخَضَمُّ، والنُّورُ الأتَمُّ ...

صَفَاءٌ وَلَا مَاءٌ وَلُطْفٌ وَلَا هَوَا وَنُورٌ وَلَا نَارٌ وَرُوحٌ وَلَا جِسْمُ

(فاعْلَمْ) **أنَّ كلَّ ما ذَكَرَ النَّاسُ فيها رشْفَةٌ مِن بِحارِ معانيها، ومَن ادَّعَى قَصْرًا فمِن قُصُورِه، أو زَعَمَ أنَّه أَتَى بكثيرٍ فمِن قِلَّةِ نورِه، والعارفُ يقولُ باندماجِ جميعِ ما ذكرُوه في صَدَفِ فرائِدِها، وامتزاجِ سائرِ ما سَطَّرُوه في طَمْطَامِ فوائِدِها، فإنْ شئْتَ فقُلْ:** كما أنَّها مُشتَمِلةٌ على هاتيك الأسْرَارِ يُشيرُ كلُّ حرفٍ منها إلى اسْمٍ مِن أسمائِه (تعالى). **وإنْ شئْتَ فقُلْ:** أتى بها هكذا لتكونَ كَالإيقاظِ وقَرْعِ العصَا لمَن تحدَّى بِـ«القرآنِ». **وإنْ شئْتَ فقُلْ:** جاءتْ كذلك ليكونَ مَطْلَعُ ما يُتلَى عليهم مُستقِلًّا بضَرْبٍ مِن الغَرَابَةِ أُنمُوذَجًا لِمَا في الباقي مِن فنونِ (**الإعْجَازِ**)، فإنَّ النُّطْقَ بأنْفُسِ الحروفِ في تضاعيفِ الكلامِ – وإنْ كانَ على طَرَفِ الثمامِ – يتناولُه «الخواصُّ» و«العوامُّ»، لكن التَّلفُّظ بأسمائها إنَّما يتأتَّى ممَّن دَرَسَ وخَطَّ، وأمَّا مَن لمْ يَحُمْ حولَ ذلك قطّ؛ فأعزُّ مِن بيضِ الأُنُوقِ، وأبعدُ مِن مَناطِ العيوقِ، ولاسيَّما إذا كانَ على نمطٍ عجيبٍ وأسلوبٍ غريبٍ مُنْبِئٍ عن سِرٍّ سَرِيٍّ مَبْنِيٍّ على نَهْجٍ عبقريٍّ بحيثُ يَحَارُ فيه أربابُ العقولِ، ويَعْجَزُ عن إدراكِه ألبابُ الفحولِ. **وإنْ شئْتَ فقُلْ:** فيها جَلْبٌ لإصْغَاءِ الأذهانِ، وإلجَامِ كلِّ مَن يَلغُو مِن الكفَّارِ عندَ نُزُولِ «القرآنِ»؛ لأنَّهم إذا سَمِعُوا ما لمْ يفهَمُوه مِن هذا النَّمطِ العجيبِ تركوا اللَّغَطَ، وتوفَّرتْ دواعيهم للنَّظَرِ في الأمْرِ المُناسِبِ بين (حروفِ الهجاءِ) التي جاءتْ مُقطَّعَةً وبين ما يجاورُها مِن الكَلِمِ رجاءَ أنَّه ربَّما جاءَ كلامٌ يُفسِّرُ ذلك المُبْهَمَ، ويُوَضِّحُ ذلك المُشْكَلَ، وفي ذلك ردُّ شَرِّ

كثيرٍ مِن عنادِهم وعُتوّهم ولَغْوِهم الذي كانَ إذْ ذاك يَظْهَرُ منهم، وفي ذلك رَحْمَةٌ منه (تعالى) للمؤمنين، ومِنَّةٌ للمُسْتَبْصِرين. **وإنْ شئْتَ فقُلْ:** إنَّ بعضَ مُركَّباتِها بالمَعْنَى الذي يَفْهَمُه أهلُ «**اللهِ**» (تعالى) منها –يصحُّ إطلاقُه عليه (سبحانه)، فيجري ما رُوِيَ عن «**عليٍّ**» (كرَّمَ الله تعالى وجهَه) أنَّه قال: "**يا كهيعص**"، و"**يا حم عسق**"– على ظاهِرِه، **وإنْ أبَيْتَ فقُلْ:** المُرادُ يا مُنزلَهما، **وإنْ شئْتَ فقلْ:** غير ذلك، حدِّثْ عن البحر ولا حرج، وعندي فيمَا نحنُ فيه لطائفٌ، وسبحانَ مَن لا تتناهَى أسرارُ كلامِه..."[٢٠٦].

وقدْ أنكرَ (مَذْهَبَ الجَمْعِ) جماعةٌ مِن المُفسِّرين؛ منهم الإمامُ الحافظُ «**ابنُ كثيرٍ**»، حيثُ **أنكرَ على الإمامِ «ابنِ جريرٍ الطَّبريّ» قياسَه «الحروفَ المُقطَّعةَ» على لفظِ (أُمَّة)، واعتبرَ أنَّ في قياسِه هذا دلالَةً على بُطْلانِ مَذْهَبِه**، فبعدَ أنْ أَوْرَدَ كلامَه مُلخَّصًا قالَ (رحمه الله): "هذا حاصلُ كلامِه مُوَجَّهًا، ولكنْ هذا ليس كما ذكرَه «**أبو العالية**»، فإنَّ «**أبا العالية**» زَعَمَ أنَّ الحرفَ دلَّ على هذا وعلى هذا مَعًا، **ولفظةُ (الأُمَّة) وما أشبهَها مِن الألفاظِ المُشتركَةِ في الاصطلاحِ – إنَّما دلَّ في «القُرآنِ» في كلِّ مَوْطِنٍ على معنًى واحدٍ دلَّ عليه سياقُ الكلامِ، فأمَّا حَمْلُهُ على مجموعِ مَحامِلِهِ إذا أمْكَنَ؛ فمَسْأَلَةٌ مُختلَفٌ فيها بين علماءِ الأُصُولِ** ... ثمَّ إنَّ لفظةَ **(الأُمَّة)** تدلُّ على كلٍّ مِن معانيها في سياقِ الكلامِ بدلالةِ الوَضْعِ، فأمَّا دلالةُ الحرفِ الواحدِ على اسْمٍ يُمكِنُ أنْ يدلَّ على اسْمٍ آخرَ مِن غيْرِ أنْ يكونَ أحدُهما أوْلَى مِن الآخر في التَّقديرِ أو الإضمارِ بوضعٍ ولا بغيرِه؛ فهذا ممَّا لا يُفْهَم إلَّا بتَوْقِيفٍ، والمَسْألةُ مُختلَفٌ فيها، وليسَ فيها إجماعٌ حتَّى يُحْكَمَ بهِ، **وما أنْشَدُوه مِن الشَّوَاهِدِ على صِحَّةِ إطلاقِ الحرفِ الواحدِ على بقيَّةِ الكلمةِ فإنَّ في السِّياقِ ما يدلُّ على ما حُذِفَ، بخلافِ هذا** ... و«**اللهُ**» أعلمُ"[٢٠٧].

وممَّن أنكرَ **(مَذْهَبَ الجمعِ)** –أيضًا– مِن المُفسِّرين الإمامُ «**الفخرُ الرَّازيّ**» الذي اختارَ **(مَذْهَبَ الجمهورِ)**؛ وهو أنَّ «**الحروفَ المُقطَّعةَ» أسماءٌ للسُّوَرِ** التي جاءتْ مُصدَّرةً بها، وقدْ جاءَ إنكارُه لِـ **(مَذْهَبِ الجمعِ)** في أثناءِ تدليلِه على صِحَّةِ

مَذْهَبِه؛ حيثُ يقولُ (رحمه الله) – كاشفًا عن اختيارِه في هذه الحروفِ بعدَ أنْ ذكرَ أقوالَ المُفسِّرين فيها – : "**والمختارُ عندَ أكثرِ المُحقِّقِين مِن هذه الأقوالِ: أنَّها أسماءُ السُّوَرِ**، والدليلُ عليه: أنَّ هذه الألفاظَ إمَّا أنْ لا تكونَ مَفهومَةً، أو تكونَ مَفهومَةً، والأوَّلُ باطلٌ؛ أمَّا أوَّلًا: فلِأنَّه لو جازَ ذلك لَجازَ التَّكلُّمُ مع «العربيِّ» بلغة «الزِّنْجِ»، وأمَّا ثانيًا: فلِأنَّه (تعالى) وصَفَ «القرآنَ» أجْمَعَ بأنَّه هدًى، وذلك يُنافِي كَوْنَه غيرَ معلومٍ. وأمَّا القسمُ الثَّاني؛ فنقولُ: إمَّا أنْ يكونَ مُرادُ «اللهِ» (تعالى) منها جَعْلَها أسْمَاءَ الألقابِ، أو أسْمَاءَ المعاني، والثَّاني باطلٌ؛ لأنَّ **هذه الألفاظَ غيرَ موضوعةٍ في لُغةِ «العربِ» لهذه المعاني التي ذكرَها المُفسِّرُون، فيُمْتَنَع حملُها عليها؛ لأنَّ «القرآنَ» نزلَ بلُغةِ «العربِ»، فلا يجوزُ حملُها على ما لا يكونُ حاصلًا في لُغةِ «العربِ»**؛ ولِأنَّ المُفسِّرِين ذكرُوا وُجُوهًا مُختلِفةً، وليستْ دلالةُ هذه الألفاظِ على بعضِ ما ذكرُوه أوْلَى مِن دلالتِها على الباقي، **فإمَّا أنْ يُعْمَلَ على الكلِّ، وهو مُتعذِّرٌ بالإجماعِ**؛ لأنَّ كلَّ واحدٍ مِن المُفسِّرِين إنَّمَا حَمَلَ هذه الألفاظَ على معنًى واحدٍ مِن هذه المعاني المَذكورةِ، **وليسَ فيهم مَن حَمَلَها على الكُلِّ**، أو لا يُحْمَلُ على شيْءٍ منها، وهو الباقي، ولمَّا بَطُلَ هذا القِسْمُ وَجَبَ الحُكْمُ بأنَّها مِن أسْمَاءِ الألقابِ"(٢٠٨).

وأمَّا عن بقيَّةِ الوجوهِ التي حُمِلَتْ عليها تلك الحروفُ؛ فإنَّه يقولُ (رحمه الله): "...وأمَّا سائرُ الوجوهِ التي ذكرُوها فقدْ بيَّنَّا أنَّ قولَنا ﴿الٓمٓ﴾ غيرُ موضوعٍ في لُغةِ «العربِ» لإفادةِ تلك المعاني، فلا يجوزُ استعمالُها فيه؛ لأنَّ «القُرآنَ» إنَّما نزلَ بلُغةِ «العربِ»، **ولأنَّها مُتعارِضةٌ**، فليسَ حَمْلُ اللَّفظِ على بعضِها أوْلى مِن البعضِ؛ ولِأنَّا **لو فَتَحْنا هذا البابَ لانفتحَتْ أبوابُ تأويلاتِ الباطنيَّةِ وسائرِ الهَذَيانات، وذلك ممَّا لا سبيلَ إليه**"(٢٠٩).

وقدْ اعترضَ «الزَّمَخْشَرِيُّ» على القولِ بأنَّها أسماءٌ للسُّوَرِ حقيقةً، إذْ يَرَى أنَّه وإنْ كانَ رَأْيَ الجمهورِ إلَّا أنَّهم إنَّما صاروا إليهِ على سبيلِ المَجَازِ دونَ الحقيقةِ؛ يقولُ (رحمه الله): "إنَّ «القُرآنَ» إنَّما نَزَلَ بلسانِ «العربِ» مصبوبًا في

أساليبِهم واستعمالاتِهم، و«العربُ» لمْ تتجاوزْ ما سَمُّوا به مجموعَ اسْمَين، ولم يُسَمِّ أحدٌ منهم بمجموعِ ثلاثةِ أسماءٍ وأربعةٍ وخمسةٍ، **والقولُ بأنَّها أسماءُ السُّوَرِ حقيقةً يخرجُ إلى ما ليسَ في لُغةِ «العربِ»، ويُؤدِّي – أيضًا – إلى صَيْرُورَةِ الاسْمِ والمُسمَّى واحدًا.** فإنْ اعترضْتَ عليه بأنَّهُ قَوْلٌ مَقُولٌ على وَجْهِ الدَّهْرِ، وأنَّه لا سبيلَ إلى ردِّه، أجابَك بأنَّ له مَحْمَلًا سِوى ما يذهبُ إليه، وأنَّه نظيرُ قولِ النَّاسِ: فلانٌ يَرْوِي: **(قِفَا نَبْكِ)**[٢١٠] و**(عَفَتِ الدِّيَارُ)**[٢١١]. ويقولُ الرَّجلُ لصاحبِه: ما قرأتَ؟، فيقول: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾[٢١٢]، و﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ﴾[٢١٣]، و﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ﴾[٢١٤]، و﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[٢١٥]، وليستْ هذه الجملُ بأسامي هذه القصائد وهذه السُّوَرِ والآيِ، وإنَّما تعني روايةَ القصيدةِ التي ذاك استهلالُها، وتلاوةَ السُّورةِ أو الآيةِ التي تلك فاتحتُها. فلمَّا جرَى الكلامُ على أسلوبِ مَن يقصدُ **(التَّسميةَ)**، واسْتُفِيدَ منها ما يُستَفادُ مِن **(التَّسميةِ)**، قالوا ذلك على سبيلِ المَجَازِ دونَ الحقيقةِ"[٢١٦].

وقدْ اختارَ «**الزَّمخشريُّ**» "...**أنْ يكونَ ورودُ هذه الأسماءِ هكذا مسرودةً على نمَطِ التَّعديدِ كالإيقاظِ وقرْعِ العصَا لمَنْ تحدَّى بـ«القرآنِ» وبغرابَةِ نَظْمِه، وكالتَّحريكِ للنَّظرِ في أنَّ هذا المَتْلُوَّ عليهم، وقدْ عَجَزُوا عنه عن آخرِهم – كلامٌ مَنْظُومٌ مِن عَيْنِ ما يَنْظِمُون منه كلامَهم؛ لِيُؤَدِّيَهم النَّظرُ إلى أنْ يَسْتَيْقِنُوا أنْ لمْ تتساقطْ مَقْدِرَتُهم دونَه، ولمْ تظهرْ مَعْجَزَتُهُم عنْ أنْ يأتوا بمِثْلِه بعدَ المُراجَعاتِ المُتطاوِلةِ**، وهمْ أمراءُ الكلامِ وزعماءُ الحوارِ، وهم الحرَّاصُ على التَّساجُلِ في اقتضابِ الخُطبِ، والمُتهالِكون على الافتنانِ في القصيدِ والرَّجَزِ، ولمْ يَبْلُغْ مِن الجَزالَةِ وحُسْنِ النَّظْمِ المَبالِغَ التي بَزَّتْ[٢١٧] بلاغةَ كلِّ ناطِقٍ، وشقَّتْ غبارَ كلِّ سابقٍ، ولمْ يتجاوزْ الحدَّ الخارجَ [عنْ] قُوَى الفُصَحَاءِ، ولمْ يقعْ وراءَ مَطامحَ أعْيُنِ البُصَرَاءِ – **إلَّا لأنَّه ليسَ بكلامِ البشرِ، وأنَّه كلامُ خالقِ القُوَى والقَدَرِ** [سبحانه وتعالى]"[٢١٨]، ثمَّ قالَ (رحمه الله):"وهذا القولُ مِن القوَّةِ والخَلَاقَةِ بالقبولِ بمَنْزِلٍ"[٢١٩].

وقدْ حكَى هذا المَذْهَبُ «**الفَخْرُ الرَّازي**» في تفسيرِه عن «**المُبرّدِ**» وجَمْعٍ مِن المُحقِّقِين[٢٢٠]، وحكَى «**القُرْطُبِيُّ**» عن «**الفَرَّاء**» و«**قُطْرُب**» نحو هذا[٢٢١]، وإليه ذهبَ شيخُ الإسلامِ «**ابنُ تَيْمِيَة**»[٢٢٢]، والشيخُ الحافظُ «**أبو الحجَّاجِ المزّي**»؛ حكاه عنهما الحافظُ «**ابنُ كثيرٍ**» في تفسيرِه[٢٢٣]، ثمَّ قالَ (رحمه الله) – مُعبِّرًا عن مُناصَرَتِه لهذا المَذْهَبِ– : "قلتُ: **ولهذا كلُّ سُورةٍ افتُتِحتْ بالحروفِ فلا بُدَّ أنْ يُذكَرَ فيها الانتصارُ للقرآنِ وبيانُ إعْجَازِهِ وعظمَتِه**،وهذا معلومٌ بالاستقراءِ، وهو الواقعُ في تسعٍ وعشرين سورةً،ولهذا يقولُ(تعالى): ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ﴾[٢٢٤]، ﴿الٓمٓ ۝١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ۝٢ نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ﴾[٢٢٥]، ﴿الٓمٓصٓ ۝١ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيۡكَ فَلَا يَكُن فِي صَدۡرِكَ حَرَجٞ مِّنۡهُ﴾[٢٢٦]،﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ﴾[٢٢٧]، ﴿الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَا رَيۡبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[٢٢٨]، ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢ كِتَٰبٞ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ﴾[٢٢٩]، ﴿حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ ۝٢ كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾[٢٣٠]، وغيْرُ ذلك مِن الآياتِ الدَّالةِ على صِحَّةِ ما ذهبَ إليه هؤلاء لِمَن أمْعَنَ النَّظرَ، و«**اللهُ**» أعلمُ"[٢٣١].

وكأنَّ هذه الحروفَ قدْ جاءتْ "... **كـ(المُهيّجةِ) لمَنْ سَمِعَها مِن الفصحاءِ، و(المُوقِظةِ) للهِمَمِ الرَّاقدةِ مِن البُلَغَاءِ لطَلَبِ التَّساجُلِ، والأخْذِ في التَّفاضُلِ، وهي بمَنزلةِ (زَمْجَرَةِ الرَّعدِ) قِبَلَ النَّاظرِ في الأعْلامِ لتعرفَ الأرضُ فضلَ الغمامِ، وتحفظَ ما أُفِيضَ عليها مِن الإنعامِ. وما هذا شأنُه خَلِيقٌ بالنَّظرِ فيه، والوقوفِ على معانيهِ، بعدَ حِفْظِ مَبانِيهِ**"[٢٣٢]–على حدِّ قولِ الإمامِ «**الزَّرْكَشِيّ**» (رحمه الله)، وفيه إشارةٌ إلى أنَّ فُقْدَانَ العبدِ علمَ بعضِ (**المُتشابِهِ**) يُؤهِّلُهُ إلى إدراكِ نِعْمَةِ فَهْمِ (**المُحكَمِ**)، ومِن ثَمَّ المُحافَظة على تلك النِّعمةِ، وفيه كذلك إشارةٌ إلى أنَّنا مُطالَبون بالوقوفِ على معاني تلك الحروفِ، وفيه – أيضًا – أنَّها تشيرُ إلى (**إعْجَازِ القرآنِ**) بما تَضمَّنتْه مِن الإشارةِ إلى (**التَّحَدِّي والمُعَاجَزة**). يُؤكِّدُ هذا ما ذكرَه الإمامُ

«**البقاعيُّ**» عند تفسيرِه لمُناسَبةِ ذِكْرِ قولِه (تعالى): ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ﴾ بعد قوله: ﴿الٓمٓ﴾ في صَدْر سُورةِ «البقرة»؛ حيثُ يقولُ (رحمه الله): "ولمَّا كانَ معنى ﴿الٓمٓ﴾: **هذا كتابٌ مِن جِنْسِ حروفِكم التي قدْ فُقْتُم في التَّكلُّمِ بها سائرَ الخلقِ، فمَا عَجَزْتُم عن الإتيانِ بسُورةٍ مِن مِثْلِه إلَّا لأنَّه كلامُ «اللهِ»**، أنتجَ ذلك كمالُه، فأُشِيرَ إليه بأداةِ البُعْدِ ولامِ الكمَالِ في قولِه: ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ﴾ لعُلُوِّ مِقدَارِه بجلالَةِ آثارِه، وبُعْدِ رُتْبَتِهِ عن نَيْلِ المَطْرُودِين. ولمَّا عَلِمَ كمالَه أشارَ إلى تعظيمِهِ بالتَّصريحِ بمَا يُنْتِجُهُ ويَستلزِمُهُ ذلك التَّعظيمُ، فقالَ: ﴿لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ﴾ أي: في شيْءٍ مِن معناه ولا نَظْمِه في نَفْسِ الأمرِ عند مَن تحقَّقَ بالنَّظرِ، فالمَنفيُّ كَوْنُه مُتعلِّقًا للرَّيْبِ ومَظنَّةً له، ولمْ يُقَدّم الظَّرفَ؛ لأنَّه كانَ يُفِيدُ الاختصاصَ، فيُفْهَم أنَّ غيرَه مِن الكتبِ مَحَلُّ الرَّيْبِ"[٢٣٣].

وقدْ يطرأُ على الذِّهنِ تساؤلٌ -ههنا-؛ ألا وهو: **ما الفائدةُ مِن إعلامِهم أنَّها حروفٌ، مع أنَّهم قدْ علِموا أنَّها حروفٌ بمُجرَّدِ قراءتِها؟** والجوابُ- على نحو ما ذكرَ الإمامُ «**ابنُ الجوزيّ**» (رحمه الله)- يكْمُنُ في "... أنَّه **نبَّهَ بذلك على إعْجَازِه، فكأنَّه قالَ: هو مِن هذه الحروفِ التي تُؤلِّفون منها كلامَكم، فما بالُكم تَعْجَزُون عن مُعارَضتِه؟! فإذا عَجَزْتُم فاعْلمُوا أنَّه ليسَ مِن قولِ «مُحَمَّدٍ»** (عليه السَّلام)"[٢٣٤].

وفي السِّياقِ ذاتِه يقولُ القاضي «**أبو بكرٍ**» (رحمه الله): "**إنَّما جاءتْ على نصفِ حروفِ المُعْجَمِ، كأنَّه قيلَ: مَن زَعَمَ أنَّ «القرآنَ» ليس بآيةٍ، فليأخذْ الشَّطرَ الباقي، ويُركِّبُ عليه لفظًا مُعارَضةً للقرآن**..."[٢٣٥]، وقدْ نسبَ ذلك إلى بعضِ أربابِ الحقائقِ؛ فقالَ: "... وقد عَلِمَ ذلك بعضُ أربابِ الحقائقِ"[٢٣٦].

واختارَ هذا القولَ مِن المُفسِّرين المُحدَثِين «الطَّاهرُ بنُ عاشورَ»؛ يقولُ (رحمه الله) – بعدَ أنْ أوْرَدَ هذا القولَ -: "قلتُ: **وهو الذي نختارُه**، وتظهرُ المُناسَبةُ لوقوعِها في **فواتحِ السُّوَرِ** أنَّ كلَّ سُورةٍ مقصودةٌ بـ**(الإعْجَازِ)**؛ لأنَّ «**اللهَ**» (تعالى) يقولُ: ﴿فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّن مِّثۡلِهِۦ﴾[٢٣٧]، **فناسَبَ افتتاحُ ما بِه (الإعْجَازُ) بالتَّمهيدِ لمُحاوَلتِه**، ويُؤيِّدُ هذا القولَ أنَّ **(التَّهجِّي)** ظاهرٌ في هذا المَقْصِدِ، فلذلك لمْ يسألوا

عنه لظهورِ أمرِه، وأنَّ **(التَّهجِّي)** معروفٌ عندهم للتَّعليمِ، فإذا ذُكِرَتْ **(حروفُ الهجاءِ)** على تلك الكيفيَّةِ المَعهودةِ في التَّعليمِ في مَقامٍ غيرِ صالحٍ للتَّعليمِ عَرِفَ السَّامعون أنَّهم **عُومِلوا مُعامَلةَ المُتعلِّمِ؛ لأنَّ حالَهم كحالِه في العَجْزِ عن الإتيانِ بكلامٍ بليغٍ**، ويُعضِّدُ هذا الوَجْهُ تعقيبُ هاتِه الحروف في غالبِ المَواقعِ بذكرِ «القرآنِ» وتنزيلِه أو كتابيَّتِه إلَّا في ﴿كٓهيعٓصٓ﴾[٢٣٨] و﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ﴾[٢٣٩] و﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ﴾[٢٤٠]، ووَجْهُ تخصيصِ بعضِ تلك الحروف بـ**(التَّهجِّي)** دون بعضٍ، وتكريرِ بعضِها **لأمْرٍ لا نَعْلَمُه**، ولعلَّه لمُراعاةِ فصاحةِ الكلامِ، ويُؤيِّدُه أنَّ **معظمَ مَواقِعِ هذه الحروف في أوائلِ (السُّوَرِ المكِّيَّة)** عَدَا «**البقرة**» – على قولِ مَن جعلوها كلَّها **(مدنيَّة)** – و«**آل عمران**»، ولعلَّ ذلك لأنَّهما نَزَلَتَا بقُرْبِ عَهْدِ الهجرةِ مِن «**مكَّة**»، وأنَّ **قَصْدَ التَّحدِّي في «القرآنِ» النَّازلِ بـ «مكَّة» قصدٌ أوَّليٌّ**، ويُؤيِّدُه – أيْضًا – أنَّ الحروفَ التي أسماؤها مختومةٌ بألفٍ ممدودةٍ؛ مثل: **(الياء، والهاء، والرَّاء، والطَّاء، والحاء)** – قُرِئَتْ في **فواتحِ السُّوَرِ** مَقصودةً على الطريقةِ التي يُتهجَّى بها للصِّبيانِ في الكُتَّابِ طَلَبًا للخِفَّةِ..."[٢٤١].

واختارتْ د.«**عائشة عبد الرَّحمن**» هذا القولَ باعتبارِه أقربَ الأقوالِ إلى طبيعةِ البيانِ و(قضيَّةِ الإعْجَازِ)؛ حيثُ تقول: "... **ولعلَّ أقربَ ما قالوه في حروفِ الفواتحِ إلى طبيعةِ البيانِ و(قضيَّةِ الإعْجَازِ) – هو أنَّ هذه الحروف ذُكِرَتْ لتدلَّ على أنَّ «القرآنَ» مُؤَلَّفٌ مِن حروفِ هجائِهم، مُفرَدةً أو مُركَّبةً، ليدلَّ القومَ الذين نَزَلَ «القرآنُ» بلُغتِهم أنَّه بالحروفِ التي يعرفونها، ويبنون كلامَهم منها...**"[٢٤٢]، تقولُ: "... **فيكون ذلك تعريفًا لهم ودلالةً على عَجْزِهم أنْ يأتوا بمِثْلِه...**"[٢٤٣]، وتقولُ في مَوضِعٍ آخرَ مُوضِّحةً اختيارَها لهذا الرَّأيِ، وتبنِّيها له – : "هذا الوَجْهُ الذي لمحَه الإمامُ «**الطَّبريُّ**»، وقال به عددٌ مِن أئمَّةِ المُحقِّقين، لُغَويِّين ومُفسِّرين، وقرَّرَه «**الزَّمخشريُّ**»، ونصرَه أتمَّ نَصْرٍ، وأيَّدَه «**ابنُ كثيرٍ**» بما حكاه عن شيوخِه ... هو فيما نرى **أقربُ ما يكونُ إلى طبيعةِ الكتابِ العربيِّ المُبِين في إعْجَازِ بيانِه**،

ومِن ثمَّ أَسْتَخْلِصُهُ مِن بين حَشْدِ الأقوالِ التي تأوَّلُوا بها فواتحَ السُّوَرِ، وزادتْ على العشرين"[٢٤٤].

هذا، وقدْ حاولتْ د.«**عائشة عبد الرَّحمن**» إجراءَ **استقراءٍ كاملٍ لجميعِ السُّوَرِ المُفتتَحةِ بـ«الحروفِ المُقطَّعةِ» مُرتَّبةً حسبَ النُّزولِ**، وهي محاولةٌ – كما تقولُ – لمْ يسبقْها إليها أحدٌ[٢٤٥]، وقدْ خَلُصَتْ مِن هذا الاستقراءِ إلى أنَّ تلك الفواتحَ "... **بدأتْ مِن أوائلِ الوَحْيِ في سُورةِ «القلم» لافتةً إلى سِرِّ الحرفِ، ثمَّ كَثُرَتْ وتتابعتْ في أواسطِ العَهْدِ المكّيِّ** مِن سورة «**ق**» – وترتيبُ نزولِها الرَّابعةُ والثلاثون – إلى سورةِ «**القصص**» – وترتيبُ نزولِها التَّاسعةُ والأربعون – **حينَ بلغَ الجَدَلُ في «القُرآنِ» أشُدَّه، فعُرِضَتْ (قضيَّةُ التَّحدّي)، وظلَّتْ آياتُ «القُرآنِ» تُعاجِزُهم وتتحدَّاهم أنْ يأتوا بمثلِه، أو بسورةٍ منه، إلى أوَّلِ العهدِ المدنيِّ الذي نزلتْ فيه آيةُ «البقرة» فحسمت الجدلَ العقيمَ، بعد أنْ لزمتهم الحُجَّة على صدقِ المُعْجِزَةِ، بعَجْزِهم مُجتمِعين أنْ يأتوا بسورةٍ من مِثْلِه**"[٢٤٦]، وتضيفُ (رحمها الله) مَلْحَظًا آخرَ يُؤكِّدُ ما ذهبتْ إليه، وهو أنَّه "**ما من سورةٍ بُدِئَتْ بـ«الحروف المقطَّعة» إلَّا كانَ فيها احتجاجٌ للقرآنِ، وتقريرُ نزولِه من عندِ «اللهِ»، ودَحْضٌ لدَعَاوَى مَن جادَلوا فيه**، مع التَّنظِيرِ لمَوْقِفِ المُجادِلِين فيه، بمَوْقِفِ أُمَمٍ قبلَهم كذَّبوا بآياتِ «اللهِ»، واستهزؤوا برُسُلِهِ (تعالى)، فحَقَّ عليهم العقابُ"[٢٤٧].

وهذا ما أكَّدَه الشَّيخُ «**محمَّد أبو زهرة**» في تفسيرِه، ورَأَى فيه دلالةً على **الارتباطِ الوثيقِ بين هذه الحروفِ وبينَ قضيَّةِ (الإعْجَازِ والتَّحدّي)**؛ يقولُ (رحمه الله): "وإنَّه بتَتبُّعِ السُّوَرِ الكريمةِ التي صُدِّرَتْ بهذه الحروفِ التي قدَّسَها «**اللهُ**» (سبحانه وتعالى) بذِكْرِها، وإعقابِ «القرآنِ» في أكثرِها بها – يدلُّ على الارتباطِ الوثيقِ بينها وبين «**القُرآنِ الكريمِ**»؛ لأنَّه اشتملَ عليها، ولأنَّها **تشيرُ إلى مَقامِه وإعْجَازِه ومَنْزِلَته في هذا الوجودِ الإنسانيِّ**"[٢٤٨].

وقدْ ضعَّفَ صاحبُ «تفسيرِ المَنار» هذا القولَ، واختارَ أنَّها كأداةِ الافتتاحِ (ألَا) و(هاء) التَّنبيه؛ يقولُ في تفسيرِ صدرِ سورةِ «**الأعراف**»: "والمُختارُ عندنا أنَّ

حكمةَ افتتاحِ هذه السُّورةِ وأمثالِها بأسماءِ حروفٍ ليسَ لها معنًى مفهومٌ غير مُسمَّى تلك الحروفِ التي يَتركَّبُ منها الكلامُ – هي **تنبيهُ السَّامعِ إلى ما سيُلقَى إليه بعد هذا الصوتِ مِن الكلامِ حتَّى لا يفوتُه منه شيْءٌ**. فهي كأداة الافتتاح (ألَا) و(هاء) التَّنبيه"[٢٤٩].

هنا يقرِّرُ الشيخُ «**محمَّد رشيد رضا**» أنَّ «**الحروفَ المُقطَّعةَ**» ليس لها معنًى مفهومٌ غير مُسمَّى تلك الحروفِ، لكنَّه في الوقت نفسِه **بحثَ عن الحكمةِ وراءَ إنزالِها على هذا النَّحْوِ**، وهو بذلك يَنْحُو نَحْوَ الإمامِ «**ابنِ كثيرٍ**» (رحمه الله) الذي وقفَ في **مَقامِ البحثِ عن الحكمةِ التي اقتضتْ إيرادَ هذه الحروفِ في أوائلِ السُّوَرِ على تلك الهَيْئةِ – ما هي؟! مع قَطْعِ النَّظرِ عن معانيها في أنْفُسِها**[٢٥٠].

ولعلَّ هذا ما دفعَ الإمامُ «**جلالُ الدِّين السِّيوطيّ**» إلى القولِ **بعدمِ استقلاليَّةِ هذا القولِ**، إذْ ليسَ فيه بيانُ معنًى؛ يقولُ (رحمه الله) – بعدَ أنْ أَوْرَدَ هذا القولَ – : "... وعدَّ هذا جماعةٌ قولًا مُستقِلًّا، والظَّاهرُ خلافُه، وإنَّما يَصلُحُ هذا مُناسَبةً لبعضِ الأقوالِ، لا قولًا في معناه، إذْ ليسَ فيه بيانُ معنًى"[٢٥١].

وعلى كلٍّ، فإنَّ الشيخَ «**محمَّد رشيد رضا**» (رحمه الله) يرى أنَّ **هذه الحروفَ جاءتْ للتَّنبيهِ، وقدْ اخْتُلِفَ في تحديدِ مَن المقصودُ أو المَعْنِيُّ بالتَّنبيهِ**؛ على قولين:

فذهبَ بعضُ «أهلِ العلمِ» إلى أنَّه "...مِن الجائزِ أنْ يكونَ «**اللهُ**» قدْ عَلِمَ في بعضِ الأوقاتِ كونَ **النَّبِيِّ** (صلَّى الله عليه وسلَّم) في عالَمِ البشرِ مَشغُولًا، فأمَرَ «**جبريلَ**» [عليه السَّلامُ] بأنْ يقولَ عندَ نزولِه: ﴿الٓمٓ﴾ و﴿الٓر﴾ و﴿حمٓ﴾ ليسمعَ **النَّبِيُّ** (صلَّى الله عليه وسلَّم) صوتَ «**جبريل**»، فيُقْبِلَ عليه، ويُصغِيَ إليه. قالَ: وإنَّمَا لمْ تُستَعمَل الكلماتُ المَشْهُورةُ في التَّنبيهِ كـ (**ألَا**) و(**أمَا**)؛ لأنَّها مِن الألفاظِ التي تعارفَها النَّاسُ في كلامِهم، و«**القرآنُ**» كلامٌ لا يُشبِهُ الكلامَ، فناسَبَ أنْ يُؤْتَى فيه بألفاظِ تنبيهٍ لمْ تُعهَدْ؛ لتكونَ أبلغَ في قَرْعِ سَمْعِهِ [صلَّى الله عليه وسلَّم]"[٢٥٢].

- وقيلَ: "إنَّ «**العربَ**» كانوا إذا سَمِعُوا «**القرآنَ**» لَغَوْا فيه، فأنزلَ «**اللهُ**» هذا النَّظْمَ البديعَ؛ لِيَعْجَبُوا منه، ويكونَ تعجُّبُهم منه سببًا لاستماعِهم له، واستماعُهم له سببًا لاستماعِ ما بعدَه، فترقّ القلوبُ، وتلين الأفئدةُ"(٢٥٣).

وقدْ **استبعدَ الشيخُ «محمَّد رشيد رضا»الأوَّلَ،واختارَ الثَّاني**؛ يقولُ(رحمه الله): "وأقولُ: **إنَّ جَعْلَ التَّنبيه للنَّبِيِّ (صلَّى الله عليه وسلَّم) مُستبعَدٌ**، وقدْ كانَ يَنْتَبِهُ وتَغْلُبُ الروحانيَّةُ على طَبْعِهِ الشَّريفِ بمُجَرَّدِ نزولِ «الرُّوحِ الأمينِ» عليه، ودُنُوِّه منه، كما يُعْلَمُ ممَّا وَرَدَ في نزولِ الوَحْيِ مِن الأحاديثِ الصَّحيحةِ، ولا يظهرُ فيهِ وَجْهُ تخصيصِ بعضِ السُّوَرِ بالتَّنبيهِ. **وإنَّما كانَ التَّنبيهُ أوَّلًا وبالذَّاتِ للمُشركين في «مكَّة»، ثمَّ لأهلِ الكتابِ في «المَدينَة»**؛ إذْ كانَ المؤمنون يتوجَّهونَ بكلِّ قُواهُم إلى ما يَتْلُوهُ الرَّسولُ (صلَّى الله عليه وسلَّم) عليهم، وكلُّه عندهم سواءٌ، فهم مقصودون بهذا التَّنبيهِ بالدَّرجةِ الثَّانيةِ"(٢٥٤).

إذنْ؛ فهذه الحروفُ – كما يرى الشيخُ «**محمَّد رشيد رضا**» – جاءتْ تنبيهًا لأسماعِ المُشركين في «مكَّة»، ثمَّ لأسماعِ أهلِ الكتابِ في «المَدينَة»، وذلك في المَقامِ الأوَّلِ، وفي المَقامِ الثَّاني جاءتْ تنبيهًا لأسماع المؤمنين إلى ما سيُلقَى إليهم بعدها مِن الكلامِ حتَّى لا يفوتهم منه شيْءٌ، فهي **كالوسيلةِ لاستفتاحِ أسماعهم**؛ قالَ «**ابنُ رَوَقٍ**» و«**قُطْرُب**»: "إنَّ الكفَّارَ لمَّا قالوا: ﴿لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾(٢٥٥)، وتواصَوْا بالإعراضِ عنه – **أرادَ «اللهُ» (تعالى) لِمَا أحبَّ مِن صَلاحِهم ونَفْعِهم أنْ يُورِدَ عليهم ما لا يعرفونه؛ ليكونَ ذلك سببًا لإسكاتِهم واستماعِهم لِمَا يَرِدُ عليهم مِن «القرآنِ»**، فأنزلَ «اللهُ» (تعالى) عليهم هذه الحروفَ، فكانوا إذا سَمِعُوها قالوا كالمُتعجِّبين: اسمعوا إلى ما يَجِيءُ به «**مُحَمَّدٌ**» ... فإذا أَصْغَوْا هَجَمَ عليهم «القرآنُ»، **فكانَ ذلك سببًا لاستماعِهم، وطريقًا إلى انتفاعِهم**"(٢٥٦). وقالَ غيرُهما: "إنَّما خاطبَهم بما لا يفهمون، لِيُقْبِلُوا على سماعِه؛ لأنَّ النُّفوسَ تتطلَّعُ إلى ما غابَ عنها معناه، فإذا أقبلُوا إليه خاطبَهم بما يفهمون، فصارَ ذلك **كالوسيلةِ إلى (الإبلاغِ)**"(٢٥٧)، ومِن ثَمَّ **(التَّفَكُّرُ)** في هذا المَتْلُوِّ عليهم

و(**التَّدَبُّرُ**) في معانيه "... رجاءَ أنَّه رُبَّما جاءَ كلامٌ يُفسِّرُ ذلك (المُبْهَمَ)، ويُوضِّحُ ذلك (المُشْكَلَ)، فصارَ ذلك وسيلةً إلى أنْ يصيروا مُستمِعِين للقرآنِ، ومُتدبّرِين في مَطَالِعِهِ ومَقَاطِعِهِ"(٢٥٨).

وقدْ نصَرَ «**الفخرُ الرَّازيّ**» هذا الرأيَ وأكَّدَ على صِحَّتِهِ بقولِه: "**والذي يُؤكِّدُ هذا المَذْهَبَ أمران؛ أحدُهما:** أنَّ هذه الحروفَ ما جاءتْ إلَّا في أوائلِ السُّوَرِ، وذلك يُوهِمُ أنَّ الغرضَ ما ذكرنا، **والثَّاني:** أنَّ العلماءَ قالوا: "**إنَّ الحكمةَ في إنزالِ (المُتشابِهاتِ) هي أنَّ المُعَلّلَ لمَّا عَلِمَ اشتمالَ «القرآنِ» على (المُتشابِهاتِ) فإنَّه يتأمَّلُ «القرآنَ»، ويجتهدُ في التَّفكيرِ فيه على رجاءِ إنَّه رُبَّما وجدَ شيْئًا يُقوّي قولَه، وينصُر مَذهبَه، فيصير ذلك سببًا لوقوفِه على (المُحكَماتِ) المُخلِّصةِ له عن الضَّلالاتِ**" – يقولُ: "فإذا جازَ إنزالُ (المُتشابِهاتِ) التي تُوهِمُ الضَّلالاتِ لمثلِ هذا الغرَضِ، فلَأَنْ يجوزَ إنزالُ هذه الحروفِ التي لا تُوهِمُ شيْئًا مِن الخطأِ والضَّلالِ لمثلِ هذا الغرضِ كان أوْلَى"(٢٥٩).

وهذا القولُ هو الذي اختارَه الدكتور «**محمد عبدالله دراز**» في كتابِه «**النبأ العظيم**»؛ ففي سياقِ تعريفِه بمقاصدِ سورةِ «**البقرة**»، ذكَرَ أنَّها تبْدَأُ بمُقدِّمَةٍ في عشرين آيةٍ تضمَّنتْ "...التعريفَ بشأنِ هذا «القرآنِ»، وبيانَ أنَّ ما فيه مِن الهدايةِ قدْ بلغَ حدًّا مِن الوضوحِ لا يَتَرَدَّدُ فيه ذو قلبٍ سليمٍ، وإنَّمَا يُعْرِضُ عنه مَن لا قلبَ له، أوْ مَن كانَ في قلبِه مَرَضٌ"(٢٦٠). ثمَّ تكلَّمَ عن «الأحرفِ المُقطَّعةِ» في بدايةِ السُّورةِ؛ فقالَ: "بُدِئَت السورةُ الكريمةُ بثلاثةِ أحرفٍ مُقطَّعةٍ لا عَهْدَ للعربِ بتصديرِ مثلِها في الإنشاءِ والإنشادِ، وإنَّمَا عَهِدُوها مِن القرَّاءِ الكاتبين في بَدْءِ تعليمِهم التَّهجِّي للناشئين (**أ. ل. م**). ومهما يَكُنْ مِن المعنى الذي قُصِدَ إليه بهذه الأحرفِ، والسِّرِّ الذي وُضِعَتْ – هنا – مِن أجْلِه، فإنَّ تقديمَها بينَ يدي الخطابِ، مع غرابةِ نَظْمِها ومَوْقِعِها مِن شأنِه أنْ يُوقظَ الأسْمَاعَ، ويُوَجِّهَ القلوبَ لِمَا يلي هذا الأسْلوبَ الغريبَ"(٢٦١).

وأقولُ: **هذا القولُ خليقٌ بالقبولِ، وقريبٌ مِن طبيعةِ البيانِ؛ إذْ "... أنَّ مِن حُسْنِ البيانِ وبلاغةِ التَّعبيرِ التي غايتُها إفهامُ المُرادِ مع الإقناعِ والتَّأثيرِ – أنْ يُنبِّهَ المُتكلِّمُ المُخاطَبَ إلى مُهِمَّاتِ كلامِه والمَقَاصِدِ الأولى بها، ويحرصَ على أنْ يُحيطَ علمَه بما يريدُه هو منها، ويجتهدَ في إنزالِها مِن نفسِه في أفضلِ مَنازِلِها، ومِن ذلك التَّنبيهُ لها قبلَ البَدْءِ بها؛ لكيْلا يفوتُه شيْءٌ منها.** وقدْ جعلت «العربُ» منه (هاءَ) التَّنبيهِ وأداةَ الاستفتاحِ، فأيُّ غَرَابَةٍ في أنْ يزيدَ عليها «**القرآنُ**» الذي **بلغَ حدَّ الإعْجَازِ في البلاغةِ وحُسْنِ البيانِ**، ويجبُ أنْ يكونَ فيها الإمامُ المُقْتَدَى، كما أنَّه هو الإمامُ في الإصْلاحِ والهُدَى؟!"[٢٦٢].

وهذا القولُ كسابقِهِ ليسَ تعرُّفًا لمعاني تلك الحروفِ، بل تعرُّفٌ لسرِّ وجودِها، ومِن ذلك –أيضًا – ما ذهبَ إليه «الزَّمخشريّ» مِن أنَّها جاءتْ ناطِقةً بصِدْقِ النَّبِيِّ (صلَّى الله عليه وسلَّم)، وصِحَّةِ نُبُوَّتِهِ، "... ذلك أنَّ النُّطْقَ بالحروفِ أنفُسِها كانت «العربُ» فيه مُسْتَوِيَةَ الأقدامِ – «الأُمِّيُّون» منهم و«أهلُ الكتابِ» – بخلافِ النُّطْقِ بأسامي الحروفِ؛ فإنَّه كان مُخْتَصًّا بمَن خَطَّ وقَرَأَ، وخَالَطَ «أهلَ الكتابِ» وتعلَّم منهم، وكانَ مُستغرَبًا مُستبعَدًا مِن (الأُمِّيِّ) التَّكلُّمُ بها استبعادَ الخطِّ والتِّلاوةِ، كما قالَ (عزَّ وجلَّ): ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾[٢٦٣]، فكانَ حُكْمُ النُّطْقِ بذلك مع اشتهارِ أنَّه [صلَّى الله عليه وسلَّم] لمْ يكنْ ممَّن اقْتَبَسَ شيْئًا مِن أهلِه حُكْمَ الأقاصيصِ المذكورةِ في «القرآنِ»، التي لمْ تَكُنْ «قريش» ومَن دَانَ بدينِها في شيْءٍ مِن الإحاطةِ بها – في أنَّ ذلك حاصلٌ له مِن جِهَةِ الوَحْيِ، وشاهدٌ بصِحَّةِ نُبُوَّتِه [صلَّى الله عليه وسلَّم]"[٢٦٤].

أقولُ: هذا الرَّأيُ مُحْتَمَلٌ بنفسِ درجةِ احتمالِ بقيَّةِ الآراءِ التي قِيلَتْ في بيانِ سِرِّ وجودِ هذه الحروفِ في أوائلِ هَاتِيكَ السُّوَرِ على تلك الهَيْئَةِ، إذْ لا دليلَ شرعيّ أو لُغَويّ يقطعُ بأحدِها، مع إمكانِ الجَمْعِ بينها بالدَّليلِ العقليّ، إذْ لا تعارضَ بينها، **فيكون بذلك سرَّ إنزالِ هذه الحروفِ في أوائلِ هاتيك السُّوَرِ على تلك الهَيْئَةِ هو:**

- ✓ **تنبيهُ الكفَّارِ، وإيقاظُ أسْمَاعِهم** – إلى ما سيُلْقَى إليهم بعدُ مِن الكلامِ حتَّى لا يفوتَهم منه شيْءٌ.
- ✓ إعلامُ المُعانِدين أنَّ ذلك المُتحدَّى به – «القُرآنَ» – مِن جِنْسِ حروفِهم، فيكون ذلك **تَبْكِيتًا لهم على عَجْزِهِم عن مُعارَضتِه**، وهمْ أهلُ الفصاحةِ والبيانِ.
- ✓ الدَّلالةُ على **صِدْقِ النَّبِيِّ** (صلَّى الله عليه وسلَّم) وصِحَّةِ رسالتِه.

***

خاتمة:

أخلُصُ ممَّا سبَقَ إلى أنَّه لا أحَدَ يمكنُه القطعُ برَأْيٍ في شأنِ **«الحروفِ المُقطَّعةِ»**، و**(مَذْهَبُ التَّفْوِيضِ)** و**(مَذْهَبُ الخوْضِ)** مَذهَبان وَارِدان عن الصَّحابةِ (رضوانُ اللهِ عليهم أجمعين)، **ولوْ كانَ الخوْضُ في مثلِ ذلك ممَّا لا ينبغي لَمَا فاتَ النَّبِيَّ (صلَّى الله عليه وسلَّم) التَّنبيهُ على ذلك، أو إنكارُه إنْ كانَ في الأمرِ ثمَّةُ إنكارٍ، لا سيَّما وقدْ قامَ الدَّاعي لإنكارِه**؛ كما في حديثِ **«حُيَيِّ بنِ أخْطَبَ»** السابقِ– على افتراضِ صِحَّتِه–؛حيثُ جاءَ اليهودُ النَّبِيَّ (صلَّى الله عليه وسلَّم)، وجعلوا تلك الحروفَ دالَّةً على مُدَّةِ بقاءِ أُمَّتِهِ، وأَعْطُوا لكلِّ حرفٍ قيمةً فيما عُرِفَ عندهم بـ**(حسابِ الجُمَّلِ)**، ولمْ يُنْكِرْ عليهم النَّبِيُّ(صلَّى الله عليه وسلَّم)بحثَهم في ذلك، بلْ لمْ يَلتفِتْ (صلَّى الله عليه وسلَّم) إلى أصحابِه (رضوانُ اللهِ عليهم)– والحديثُ فيه دلالةٌ على وجودِ بعضِهم– ، ولمْ يَنْهَهُمْ عن فعلِ «اليهودِ» هذا، بلْ **تبسَّمَ (صلَّى الله عليه وسلَّم) لفرطِ جَهْلِهم فيما شرعوا فيه مِن بيانِ وَجْهِها على هذا النحوِ**، ومِن المعلومِ مِن الدِّينِ بالضَّرورةِ أنَّ النَّبِيَّ (صلَّى الله عليه وسلَّم) لمْ يَتْرُكْ شيْئًا فيه ضرَرٌ على الأُمَّةِ إلَّا ونبَّه عليه، وحذَّر أصحابَه منه، فكيفَ وقدْ استدعَى المَوقِفُ منه ذلك. فإذْ لمْ يُنْكِر النَّبِيُّ (صلَّى الله عليه وسلَّم) ذلك، ولم يَنْهَ أصْحَابَهُ عنه– عُلِمَ أنَّ ذلك ليسَ بمَحْظُورٍ.

والسؤالُ الذي يتبادرُ إلى الذِّهنِ–هنا– هو: **لِمَ لمْ يُبيِّن النَّبِيُّ (صلَّى الله عليه وسلَّم) معنى تلك الحروفِ أو الحكمةَ مِن إنزالِها على تلك الهيئةِ؟!** والجوابُ – فيما

يظُنُّ الباحثُ و«**اللهُ**» أعلمُ – : أنَّ في بيانِ النَّبِيِّ (صلَّى الله عليه وسلَّم) لمعناها أو الحكمةِ مِن نُزُولِها تفريغًا لها مِن مضمونِها، وخُروجًا بها عن مَقصودِها؛ لأنَّها ستصبحُ – عندئذٍ – كغيرِها مِن كلماتِ «القرآنِ» المُحْكَمَةِ، وأمَّا ما أُثِيرَ حولَها مِن **بيانٍ لمعناها** أو **كَشْفٍ لسِرِّ وجودِها**؛ فلمْ يكنْ لِيُوجَدَ، وكأنَّ النَّبِيَّ (صلَّى الله عليه وسلَّم) قدْ أَطْلَعَهُ «**اللهُ**» (سبحانه) على سِرِّ تلك الحروفِ، وأعْلمَه **أنَّ المَذاهِبَ فيها سَتَكْثُرُ، وأنَّ الآراءَ حولَها لنْ تَقِفَ عندَ حَدٍّ، ولنْ يستطيعَ وصولًا إلى حقيقةِ معناها أحَدٌ، فذلك سِرٌّ مِن أسرارِ إعْجَازِها، دلَّ على ذلك ما كانَ مِن ضَحِكِهِ (صلَّى الله عليه وسلَّم)**، وإلَّا لَقَطَعَ النَّبِيُّ (صلَّى الله عليه وسلَّم) بمعناها كما فعلَ مع كثيرٍ ممَّا أُبْهِمَ على صحابتِهِ الكرامِ مِن «القرآنِ».

ولكنَّ اللَّافتَ للانتباهِ حقًّا أنَّ أحَدًا مِن «الصَّحابةِ» (رِضوان الله عليهم) لمْ يسأل النَّبِيَّ (صلَّى الله عليه وسلَّم) في شيْءٍ مِن ذلك. فمَعَ العِلمِ أنَّ مِنهم مَنْ كانَ شَغُوفًا بالبحثِ عن معاني «القرآن»؛ كَـ«**ابنِ عبَّاسٍ**» (رضي الله عنهما)، ومنهم مَن كانَ يسألُ النَّبِيَّ (صلَّى الله عليه وسلَّم) عن كلِّ خيرٍ لينتفعَ به كَـ«**أبِي هُرَيْرَةَ**» (رضي الله عنه)، ومنهم مَن كانَ يسألُ النَّبِيَّ (صلَّى الله عليه وسلَّم) عن كلِّ شرٍّ خشيةَ أنْ يُدْرِكَهُ كَـ«**حُذَيْفَةَ بنِ اليَمَانِ**»[٢٦٥] (رضي الله عنه) كاتمُ سِرِّ رسولِ اللهِ (صلَّى اللهُ عليه وسلَّم) – إلَّا أنَّه **لمْ يَصِلْ إلينا فيما اسْتَقْرَأْتُهُ مِن أحاديثِ هذا البابِ أنَّ أحَدًا مِن «الصَّحابةِ» (رِضوان الله عليهم) سَألَ النَّبِيَّ (صلَّى الله عليه وسلَّم) عن معناها فأجابَه، أو سألَه عن سِرِّ وُجُودِها فأنكرَ عليه، ففي إنكارِهِ (صلَّى الله عليه وسلَّم) جوابٌ للسَّائلِ، وإعلامٌ لجميعِ الأُمَّة بتجنُّبِ ذلك.** فهلْ فَهِمُوا أنَّ مُرادَ «اللهِ» منها هو مُقتضَى التَّسليمِ لها؟! أمْ أنَّهم أدركوا أنَّ ذلك خارجٌ عن مَقْدُورِهم، وعن حدودِ مَعرِفة نَبِيِّهم (صلَّى الله عليه وسلَّم)؟! أمْ أنَّها كانتْ ذاتَ دلالاتٍ معروفةٍ فيما بينهم؟! أمْ أنَّهم أدركوا سِرَّ إنزالِها على هذا النحوِ؟! **وقد ذهبَ بعضُ «أهلِ العلمِ» إلى أنَّ (مَذْهَبَ التَّسْلِيمِ أوْلَى)، إذْ لا دليلَ يقطعُ بأيٍّ مِن المَذَاهِبِ الأُخْرَى؛**

- ✓ يقولُ الإمامُ «**الشَّوكانيّ**» (رحمه الله): "والذي أراه لنفسي ولكلِّ مَن أحبَّ السَّلامةَ، واقتدَى بسَلَفِ الأُمَّةِ **ألَّا يَتكلَّمَ بشيْءٍ مِن ذلك**، مع الاعترافِ بأنَّ في إنزالِها حِكْمَةً **للهِ** (عزَّ وجلَّ) لا تبلُغُها عقولُنا، ولا تهتدِي إليها أفهامُنا، وإذا انتهيتَ إلى السَّلامةِ في مَذاكَ فلا تُجاوِزْه"[٢٦٦].
- ✓ ويقولُ الإمامُ «**السَّعديّ**» (رحمه الله): "... وأمَّا «**الحروفُ المُقطَّعةُ**» في أوائلِ السُّوَرِ؛ **فالأسْلَمُ فيها السُّكوتُ عن التَّعَرُّضِ لمعناها مِن غيرِ مُسْتَنَدٍ شَرْعِيٍّ**، مع الجَزْمِ بأنَّ «**الله**» (تعالى) لم يُنْزِلْها عَبَثًا، بلْ لِحِكْمَةٍ لا نعلمُها"[٢٦٧].

وهذا ما انتهَى إليه الأستاذ الدكتور «**السيد إسماعيل علي سليمان**» في مبحثٍ خصَّه بدراسةِ «**الحروفِ المُقطَّعةِ**» في كتابِه «**فواتح سور القرآن الكريم – أنواعها ودلالاتها**»[٢٦٨]، وهو بحثٌ جيدٌ في بابِه دَرَسَ مِن خلالِه سيادتُه أكثرَ آراءِ «أهل العلم» التي قيلتْ حولَ «**الحروفِ المُقطَّعةِ**» وردَّها جميعًا بالبرهانِ والدليلِ، وانتهَى بعدَ عرضِه المُمْتِعِ إلى قولِه: "والذي يترجَّحُ – و«**اللهُ**» (تعالى) أعلمُ – أنَّ **هذه الحروفَ لا معنى لها في ذاتِها، ولا يصحُّ أنْ تكونَ رمْزًا لمعنى بعَيْنِه**؛ لأنَّ «**الله**» (تعالى) إنما خاطبَ «العربَ» بما يعرفون مِن لُغَتِهم، وهم لا يعرفون لكلِّ حرفٍ معنى بمفردِه. وعلى هذا فالمُتوجَّهُ أنْ يُقالَ: **إنَّ لإيرادِ هذه الحروفِ في فواتحِ السُّوَرِ حِكْمَةٌ جليلةٌ لا يعلمُها إلَّا «الله» (تعالى)**"[٢٦٩].

أقولُ: هذا الذي انتهى إليه سيادتُه في شأن (**المَعْنَى**) مقبولٌ في جملتِه، أما ما انتهى إليه في أمْرِ (**الحِكْمَةِ**)؛ فمَحلُّ نظرٍ؛ ذلك أنَّ (**تَسْلِيمَ أمْرِ الحِكْمَةِ**) على هذا النَّحْوِ مع (**تَفْوِيضِ المَعْنَى**) باعتبارِ أنَّ الفُهُومَ لا تَبْلُغُها، وأنَّ العُقُولَ لا سبيلَ لها إليها – يُفْضِي إلى القولِ بِـ(**العبثِ**)، وهو مستحيلٌ في حقِّ «**اللهِ**» (تعالى)، خصوصًا وأنَّ أمْرَ اسْتِنْطَاقِ (**الحِكْمَةِ**) ليسَ بمستحيلٍ على العُقُولِ، بلْ إنَّ **العبدَ مُطالَبٌ باسْتِنْطَاقِ الحِكَمِ في طيِّ (الأقْدَارِ)، بلْ وفيمَا يَصِلُه مِن (الأخبارِ)، فكيفَ بكلامِ «الحَكِيمِ»** (سبحانه).

ولعلَّ هذا ما حملَ الإمامَ «**النووي**» (رحمه الله) – وهو مِن الأئمَّةِ المُحافِظين – إلى اختيارِ أنَّ الأصحَّ في «**آية آل عمران**» أنَّ «**الراسخينَ في العلمِ**» يعلمونَ تأويلَ (المُتشابِهِ) حالَ كونِهم قائلينَ ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾[٢٧٠] – قالَ: "... **لأنَّه يَبْعُدُ أنْ يُخاطِبَ «اللهُ» عبادَه بمَا لا سبيلَ لأحدٍ مِن الخلقِ إلى معرفتِه**"[٢٧١]. فكيفَ؟ "... وقدْ وعَدَ «الحقُّ» (سبحانه) الذي هدانا إليه بواسطةِ النبيِّ المصطفى (صلى الله عليه وسلم) ببيانِه؛ قالَ تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾[٢٧٢]، وقالَ تعالى: ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍ﴾[٢٧٣]، فطالمَا أنَّ «الحقَّ» (سبحانه) وعَدَ بفَتْحِ وبيانِ معانِي «القرآنِ» كاملةً، فليسَ مِن الجائزِ أنْ يُحْتَمَلَ عدمُ فتحِ وبيانِ معاني ومعارفِ «**الحروفِ المُقطَّعةِ**»، فبلا شكَّ ما دامَ هذا الوَعْدُ لحضرةِ النبيِّ (صلَّى الله عليه وسلَّم) فقدْ انكشفتْ له كلُّ هذه الأسرارِ"[٢٧٤].

ولعلَّ هذا الوَعْدُ الذي وعَدَه «**اللهُ**» (سبحانه) رسولَه (صلَّى اللهُ عليه وسلَّم) مع عدمِ بيانِهِ (صلَّى اللهُ عليه وسلَّم) شيئا من ذلك لأمته – هو ما حملَ الإمامُ «**البيضاويُّ**» (رحمه الله) على اعتبارِ أن هذه الحروفَ "... **أسْرَارٌ بينَ «اللهِ» و«رسولِه» ورُمُوزٌ**"[٢٧٥]، وما دامتْ هي كذلك فإنَّ لها معانيَ ودلالاتٍ عرَّفَها «اللهُ» (سبحانه) المُخاطَبَ بها؛ وهو نبيُّه «**مُحَمَّدٌ**» (صلى الله عليه وسلم)، **وما دامَ «اللهُ» قدْ كشفَ لنبيِّه (صلَّى اللهُ عليه وسلَّم) هذه المعاني وتلك الأسرار، فلا يبعدُ أنْ يكشفَ بعضَ ذلك لبعضِ خلقِه**، وهذا ما حملَ بعضَ «**أهلِ التَّصَوُّفِ**» على القولِ بأنَّ «**اللهَ**» (سبحانه) جعلَ لمَن تحقَّقَ بحالِه (صلَّى اللهُ عليه وسلَّم) نصيبًا مِن تلك المعاني وهذه الأسرار كلٌّ بحسْبِ تَحَقُّقِهِ؛ فقد رُوِيَ عن الإمامِ «**محمد بن علي الترمذي**» قولُه: "**إنَّ «اللهَ» (تعالى) أوْدَعَ جميعَ ما في تلك السُّوَرِ مِن الأحكامِ والقصَصِ في الحروفِ التي ذكرَها في أوَّلِ السُّورةِ، ولا يعرفُ ذلك إلَّا (نَبِيٌّ) أوْ (وَلِيٌّ)، ثمَّ بيَّنَ ذلك في جميعِ السُّوَرِ لِيَفْقَهَ الناسُ**"[٢٧٦].

وهذا الفهمُ هو الذي حاولَ مِن خلالِه الدكتور «**محمد طاهر القادري**» الجمعَ بين المُتناقِضَين («**مَذْهَبِ التَّفْوِيضِ والتَّسْلِيمِ**» / و«**مَذْهَبِ الخَوْضِ والتَّنْقِيبِ**»)؛ حيثُ يقولُ بعدَ أنْ قدَّمَ الرَّأْيَيْن:

"**وعليهِ، فمِن المعلومِ أنَّ (الرأيَ الأوَّلَ) قدْ شُكِّلَ بناءً على أقوالِ «الصَّحابةِ الكرامِ» و«التَّابعين» (رضي الله عنهم)، وهو رأيٌ لا يتعارضُ مع (الرأيِ الثَّاني)، فالمقصودُ مِن رأيِهم: نفيُ الوصولِ لمعاني «الحروفِ المُقطَّعةِ» بفَهْمِهم وذكَائِهم فقطْ، كمَا لمْ يَنْفُوا أنَّ العلمَ بها هِبَةٌ وعَطاءٌ مِن عندِ «اللهِ» (تعالى) ورسولِه (صلَّى الله عليه وسلَّم)**؛ لذا بَيَّنَ «**الصَّحابةُ الكرامُ**» و«**التَّابعون العظامُ**» و«**أئمَّةُ التفسيرِ والحديثِ**» و«**الأولياءُ**» و«**العارفون**» كثيرًا مِن معاني وأسرارِ ولطائفِ ومفاهيمِ وتأويلاتِ «**الحروفِ المُقطَّعةِ**»، واتَّخَذَ غالبيَّةُ «**المُفسِّرين**» مِن بعدِهم هذا المَوْقِفَ –أيضًا–، والذي أساسُه مَبْنِيٌّ على الأقوالِ والنصوصِ الواردةِ عن سَيِّدِنا «**عليٍّ**» وسَيِّدِنا «**عبدِ اللهِ بنِ عباسٍ**» و«**عكرمةَ**» و«**مجاهدَ**» و«**قتادةَ**» و«**زيدِ بنِ أسلمَ**» و«**السُّدِّي الكبيرِ**» و«**سعيدِ بنِ جُبَيْرٍ**» و«**أبي العاليةَ**» و«**الربيعِ بنِ أنسٍ**» و«**ابنِ جُرَيْجٍ**» و«**ابنِ أبي نَجيحٍ**» و«**أبي الضُّحَى**» (رضي الله عنهم) ... وغيرِهم مِمَّن أقرُّوا هذا الرأيَ"[٢٧٧].

وأقولُ: لعلَّ البحثَ عن «**وَجْهِ الحكمةِ مِن إنزالِ «الحروفِ المُقطَّعةِ**» على تلك الهيْئةِ يغدو مُثْمِرًا إذا ما تمَّ في **ضَوْءِ قَضِيَّةِ (الإعْجَازِ القُرْآنِيِّ) وتَحَدِّيه لِمُعَانِديه**، باعتبارِ أنَّها حروفٌ غيرُ مَعْنَوِيَّةٍ "... تَفترِقُ عن بقيَّةِ سياقاتِ السُّوَرِ بتفرُّدِها في (**المعنى الكامِنِ**)، أو (**البيانِ المُكَمِّنِ**) ... ذلك أنَّ **حُجَّةَ «القُرآنِ» في هذا الصَّدَدِ على أنَّه المُعْجِزُ الدَّاعِمُ والمُشرِّعُ لها– تعتمدُ في أحدِ عناصرِها على هذا (الحرفِ المُقَطَّعِ)** بحسابِ أنَّه ولو كانَ قائمًا بمُفْرَدِه، ولكنَّه **نجحَ في تبكيتِ المُتحدِّين في الإعْجَازِ طَوْرًا وحدَه، وطَوْرًا بالاقترانِ مع سياقِه**، فلمْ يتمَّ إسقاطُه مِن النَّصِّ، ولا أَمْكَنَ الاستهزاءُ بوجودِه"[٢٧٨]، وفي هذا دليلٌ على إدراكِ المُخاطَبين **وَجْهَ التَّحدِّي في هذا (الحرفِ المُقَطَّعِ)**.

أمَّا التَّنبيهُ على **(وَجْـهِ مُعْجِزَتِـه)**؛ "... فإنَّ **مُعْجِزَةَ «القُرآنِ» تعتمدُ على (المُقَطَّـعِ) وعلى غيرِه، ولكنَّ الأوَّلَ يحتفظُ بنَمَطِيَّـةٍ مِن البابِ المُغْلَقِ تَفْسِيرًا لا تَأْوِيلًا؛ لأنَّه يُكْشَفُ عنه في مرحلةِ (البيانِ التَّأويليّ)، لذا فهو يُسْهِمُ في رَفْدِ الآليَّةِ الإعْجَازِيَّـةِ بالتَّأويلِ المُسْتَقْبَلِيّ**"[٢٧٩]– على نحوِ ما يُقَرِّرُ الدُّكتور «**مَشْكُور كاظم العَوَّادي**»[٢٨٠]، وهو بذلك يُفرِّقُ بينَ مُصْطلَحيّ **(التَّفسيرِ والتَّأويلِ)**[٢٨١]، ومِن ثَمَّ فهو يَرى أنَّ تلك الحروفَ **(مِن البابِ المُغْلَقِ تَفْسِيرًا لا تَأْوِيلًا)**، وهو بذلك يُقوِّضُ **(المعنـى)** لا **(الحِكْمَـةَ)**، وهذا ما أكَّدَه الشَّيخُ «**محمَّـد أبـو زهـرة**» إذْ يَرى أنَّ هذه الحروفَ "**... وإنْ كانتْ معانيها المُحرَّرةُ مَستُورةً عنَّا، وهي في عِلْمِ «اللهِ» (تعالى) المكنونِ، ولكنْ لها إشاراتٌ توحِي إلى معانٍ عاليةٍ تليقُ بتصدُّرها لكثيرٍ مِن سُوَرِ «القرآنِ»**"[٢٨٢].

أمَّا عن قولِه أنَّ تلك الحروفَ تُسْهِمُ في "...**رَفْدِ الآليَّةِ الإعْجَازِيَّـةِ بالتَّأويلِ المُسْتَقْبَلِيّ...**"؛ فلعلَّهُ أرادَ بذلك أنَّ **تلك الحروفَ بما تحملُه مِن دلالاتٍ تنكشفُ في المُستقبَلِ القريبِ – تُسْهِمُ في الدَّلالـة على أنَّ مُعْجِزَةَ «القُرآنِ» مُعْجِزَةٌ مُتَجَدِّدَةٌ**، وأنَّه – أي: «القُرآن» – لا يَخْلَقُ على كَثْرَةِ الرَّدِّ.

وذكرَ «**صاحبُ الكشَّافِ**» مِن التَّقسيماتِ التي أحاطتْ بـ«**الحروفِ المُقطَّعةِ**» في أوائلِ السُّوَرِ؛ مِن حيثُ كَوْنِها تُمثِّلُ **نِصْفَ أسامي حروفِ المُعْجَمِ**، ومِن حيثُ اشتمالِها على **أنصافِ أجناسِ الحروفِ** – ما لا يُمكِنُ لأحدٍ أنْ يدَّعيَ أنَّ «**العربَ**» حالَ نزولِ «**القرآنِ**» وقبلَه كانوا يعرفون شيْئًا منها، لكنْ – بلا شكّ – قدْ انكشفَ لهم مِن دلالاتِها ما أسْكَتَ ألسنتَهم حال سماعِها، فلم يستطيعوا إنكارَها، ولا أمْكَنَهم الاستهزاءَ بها؛ يقولُ «**الزَّمخشريّ**» (رحمه الله): "**اعلـمْ أنَّـك إذا تأمَّلـتَ مـا أوْرَدَه «اللهُ» (عزَّ سلطانُه) في الفواتحِ مِن هذه الأسماءِ – وَجَدْتَها نِصْفَ أسامي حروفِ المُعْجَمِ أربعـةَ عشـرَ** سواء، وهى: (الألف، واللَّام، والميم، والصَّاد، والرَّاء، والكاف، والهـاء، والياء، والعيْن، والطَّـاء، والسِّين، والحـاء، والقـاف، والنُّون) – **فـي تسـعٍ وعشـرين سـورةً علـى عددِ حـروفِ المُعْجَـمِ**. ثمَّ إذا نظرتَ فى هذه الأربعةَ عشرَ

وجدتَها مُشتمِلةً على أنصافِ أجناسِ الحروفِ؛ بيانُ ذلك: أنَّ **فيها مِن المَهْمُوسَةِ نِصْفَها:** (الصَّاد، والكاف، والهاء، والسِّين، والحاء. **ومِن المَجْهُورَةِ نِصْفَها:** (الألف، واللَّام، والميم، والرَّاء، والعيْن، والطَّاء، والقاف، والياء، والنُّون). **ومِن الشَّدِيدَةِ نِصْفَها:** (الألف، والكاف، والطاء، والقاف). **ومِن الرِّخْوَةِ نِصْفَها:** (اللَّام، والميم، والرَّاء، والصَّاد، والهاء، والعيْن، والسِّين، والحاء، والياء، والنُّون. **ومِن المُطْبَقَةِ نِصْفَها:** (الصَّاد، والطَّاء). **ومِن المُنْفَتِحَةِ نِصْفَها:** (الألف، واللَّام، والميم، والرَّاء، والكاف، والهاء، والعيْن، والسِّين، والحاء، والقاف، والياء، والنُّون). **ومِن المُسْتَعْلِيَةِ نِصْفَها:** (القاف، والصَّاد، والطَّاء). **ومِن المُنْخَفِضَةِ نِصْفَها:** (الألف، واللَّام، والميم، والرَّاء، والكاف، والهاء، والياء، والعيْن، والسِّين، والحاء، والنُّون). **ومِن حروفِ القَلْقَلَةِ نِصْفَها:** (القاف، والطَّاء). ثمَّ إذا استقريْتَ الكَلِمَ وتراكيبَها، رأيتَ الحروفَ التي أَلْغَى «**اللهُ**» ذِكْرَها مِن هذه الأجناسِ المَعْدُودَةِ مَكثُورةً بالمَذْكُورَةِ منها، **فسُبْحَانَ الذى دقَّتْ في كُلِّ شَيْءٍ حِكْمَتُه**. وقدْ عَلِمْتَ أنَّ مُعْظَمَ الشَّيْءِ وجُلَّهُ يَنْزِلُ مَنْزِلَةَ كُلِّهِ، وهو المُطابِقُ لِلَطَائِفِ التَّنزيلِ واختصاراتِه، فكأنَّ «**اللهَ**» (عزَّ اسْمُه) عدَّدَ على «العربِ» الألفاظَ التى منها تراكيبُ كلامِهم، **إشارةً إلى ما ذَكَرْتُ مِن التَّبكيتِ لهم، وإلزامِ الحُجَّةِ إيَّاهم...**"[٢٨٣] ا.هـ.

وهي تقسيماتٌ – كما ترى – لمْ تكنْ على عهدِ التنزيلِ ولا قريبًا منه؛ يقولُ الإمامُ «**أبو بكرٍ الباقلَّاني**» (رحمه الله) – تعليقًا على تلك التَّقسيماتِ – : "وإذا كانَ القومُ الذين قسَّمُوا في الحروفِ هذه الأقسام؛ لأغراضٍ لهم في ترتيبِ العَرَبِيَّةِ وتنزيلِها بعدَ الزَّمَانِ الطَّويلِ مِن عهدِ النَّبِيِّ (صلَّى الله عليه وسلَّم)، ورَأَوْا مَبَانِيَ اللِّسَانِ على هذه الجهةِ. وقدْ نُبِّهَ بمَا ذُكِرَ في أوائلِ السُّوَرِ على ما لمْ يُذْكَرْ على حَدِّ التَّصنيفِ الذي وَصَفْنا، **دلَّ على أنَّ وقوعَها المَوْقِعَ الذي يقعُ التَّواضُعُ عليه بعدَ العهدِ الطويلِ لا يجوزُ أنْ يقعَ إلَّا مِن «اللهِ» (عزَّ وجلَّ)؛ لأنَّ ذلك يجري مَجْرَى عِلْمِ الغُيوبِ**. وإنْ كانَ إنَّما نبَّهوا على ما بُنِيَ عليه اللِّسَانُ في أصْلِه، ولمْ يكنْ لهم في التَّقسيمِ شيْءٌ، وإنَّما التَّأثيرُ لِمَنْ وَضَعَ أصْلَ اللِّسَانِ. فذلك – أيضًا –

مِن البديعِ الذي يدلُّ على أنَّ أصلَ وَضْعِهِ **وقعَ مَوْقِعَ الحِكْمَةِ التي يقصُرُ عنها اللِّسَانُ**. فإنْ كانَ أصلُ اللُّغَةِ توقيفًا فالأمرُ في ذلك أبْيَنُ، وإنْ كانَ على سبيلِ التَّواضُعِ فهو عجيبٌ – أيضًا– ؛ لأنَّه لا يصِحُّ أنْ تجتمعَ هِمَمُهم المُختلِفةُ على نحوِ هذا إلَّا بأمرٍ مِن عندِ «اللهِ» (تعالى) ... **وكلُّ ذلك يُوجِبُ إثباتَ (الحِكْمَةِ) في ذِكْرِ هذه الحروفِ على حدٍّ يتعلَّقُ به (الإعْجَازُ) مِن وَجْهٍ**"[٢٨٤].

وأقولُ: أمَّا ما ذكرَه «**الزَّمخشريُّ**» وغيرُه مِن تلك التَّقسيماتِ؛ **فإنَّ في انكشافِها بعدَ ذلك الزَّمانِ الطَّويلِ مِن إنزالِها دلالةً على أنَّ مُعْجِزَةَ «القُرآنِ» مُعْجِزَةٌ مُتَجَدِّدَةٌ، لا تَقِفُ عندَ زمَنٍ، ولا تَسْتَسْلِمُ لفَهْمٍ، بلْ هي تكشفُ في كلِّ زمانٍ عن بعضِ وجوهِها لأهلِ ذلك الزَّمانِ، إعْمَالًا لعقولِهم، وإلْزَامًا بالحُجَّةِ إيَّاهم**؛ وهاك بعضُ النماذجِ الأخرى التي قدْ تُوقِفُك على هذا المقصود:

- قالَ «**التَّبْرِيزِيّ**» (رحمه الله): "عَلِمَ «**اللهُ**» أنَّ قومًا سيقولون بقِدَمِ «**القُرآنِ**»، فأراهم أنَّه مُؤلَّفٌ مِن حروفٍ كحروفِ الكلامِ"[٢٨٥].
- وقدْ استخرجَ بعضُ أئمَّةِ «**المَغْرِبِ**» مِن قولِه (تعالى): ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ﴾[٢٨٦] فتوحَ «**بيتِ المَقدِسِ**»، واستنقاذَه مِن العَدوِّ في سَنَةٍ مُعيَّنةٍ، وكانَ كما قالَ[٢٨٧].
- ومِن أغربِ ما قيلَ في هذا الصَّدَدِ ما نقلَه «**محمود الهندي**» عن «**سعْد عبد المُطَّلب العدْل**» مِن قولِه في تفسيرِ ﴿الٓمٓ﴾ وِفْقَ «**اللُّغةِ المصريَّةِ القديمةِ**»؛ يقولُ: "(**ألف**) تعني: المُكلَّف، الصِّدِّيق، الرَّقيق، الصَّاحب. (**لام**) تعني: يبكي، ينتحِب، يشكو، المَهمُوم بهُمُوم الرِّسالة، والمَشغُول بها. (**ميم**) تعني: ذرَّاف الدَّمْع، الباكي تهجُّدًا للهِ، ورهبةً منه (تعالى) ... فيكون المعنى: **بحقِّك يا أيُّها النَّبِيُّ المُكلَّفُ، والمَهمُومُ بهُمُومِ الرِّسالةِ، والمُغتَمُّ المَحْزُونُ لتكذيبِ قومِك لك، والذَّرَّافُ الدَّمْعِ خوفًا مِن «اللهِ» (تعالى) ورهبَةً**"[٢٨٨].

أقولُ: **ولا يزالُ في تلك الحروفِ مُتَّسَعٌ لمَزيدٍ مِن التَّفسيراتِ التي قدْ تنكشِفُ في المُستقبَلِ**؛ يقولُ الشَّيخُ «**محمَّد رشيد رضا**» (رحمه الله): "إنَّه لا يزالُ

في النَّاسِ – حتَّى علماءِ التَّاريخِ واللُّغاتِ منهم – مَن يرى أنَّ **في هذه الحروفِ رمُوزًا إلى بعضِ الحقائقِ الدّينيَّةِ والتَّاريخيَّةِ ستُظهِرُهُ الأيَّامُ**"(٢٨٩).

وها هو ذا «**الألُوسِيُّ**» (رحمه الله) يذكرُ معاني تلك الحروفِ، ويختارُ أنَّها أسماءٌ للسُّوَرِ التي جاءتْ مُصَدَّرةً بها، ثمَّ يقولُ: "... **وبَقِيَتْ أسْرَارٌ، وأيُّ أسْرَارٍ يَغارُ عليها العارفُ الغيورُ مِن الأغيارِ**"(٢٩٠)؛ ففي الجملةِ المذكورةِ إشارةٌ إلى أنَّ ثمَّ شيْئًا قدْ استقرَّ في وجدانِ «**الألوسيّ**» وخاطرِه حول معاني تلك الحروفِ – لمْ يبُحْ به مخافةَ افتتانِ غيرِه بها، واتهامِه له.

وهذا الفهمُ **يتقاطعُ** مع حديثٍ ضعيفٍ؛ وهو قولُه: "**إنَّ مِنَ الْعِلْمِ كَهَيْئَةِ الْمَكْنُونِ لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا الْعُلَمَاءُ بِاللهِ فَإِذَا نَطَقُوا بِهِ لَا يُنْكِرُهُ إِلَّا أَهْلُ الْغُرَّةِ بِاللهِ**"(٢٩١)، **و(أَهْلُ الْغُرَّةِ بِاللهِ)**: همْ **أهلُ الغفلةِ عنه** الذين ركنُوا إلى الدُّنيا واطمأنُّوا بها، وقدْ اتَّخَذَ بعضُهم هذا الحديثَ دليلًا على أنَّ «**الحروفَ المُقطَّعةَ**» مِن المُتشابِهِ(٢٩٢)، وليسَ فيه دليلٌ – على ضَعْفِه – على ما أرَادُوا منه، بلْ فَحْوَاهُ أنَّ العلماءَ يعلمون ما هو على هَيْئَةِ المَكْنُونِ **مِن** العلمِ، وإنَّما يُنْكِرُه عليهم غيرُهم، وهذا يُقَوِّي رأيَ مَن يقولُ: إنَّ «**الراسخين في العلمِ**» يعلمونَ تأويلَ المُتشابِهِ(٢٩٣).

***

رَأْيِيْ حَوْلَ «الحُرُوفِ المُقَطَّعَةِ»:

وعليهِ؛ فإنَّه **يمكنُ** القولُ بأنَّ **«الحروفَ المُقطَّعةَ» مُعْجِزَةٌ في نَفْسِها، دالَّةٌ بنَفْسِها على إعْجَازِها، وعلى إعْجَازِ «القُرآنِ» بها هؤلاءِ المُعانِدين، ودالَّةٌ على صِدْقِ النَّبِيِّ (صلَّى الله عليه وسلَّم)، وعلى صِحَّةِ رسالتِه، ودالَّةٌ – أيضًا – على ضَعْفِ حُجَّةِ هؤلاء الذين لمْ يَجْرُؤُوا على نَقْضِها؛ لأنَّها إنَّما نَطَقَتْ بالدَّلالَةِ على عَجْزِهم عن مُعَارَضَةِ كلامٍ هو مِن جِنْسِ كلامِهم، فكان ذلك كالتَّنْبِيتِ لهم، والإيقاظِ لأسْمَاعِهم، وإلزامِ الحُجَّةِ إيَّاهم.**

وهي في الوقتِ **نفسِه** مِن **(السِّرِّ المَكْتُومِ)**، ومن العلمِ الذي لو باحَ بهِ صاحبُه صارَ في نظرِ الناسِ زِنْدِيقًا، وكانَ عندَ اللهِ مَلُومًا؛ وأنا إذْ أقولُ ذلك أتَمَثَّلُ

قولَ «**زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب**» (رضي الله عنهم وعن آل البيت أجمعين)[٢٩٤]:

إِنِّـي لَأَكْـتُمُ مِـنْ عِلْمِـي جَـوَاهِرَهُ كَـيْ لَا يَـرَى الْحَـقَّ ذُو جَهْـلٍ فَيَفْتَتِنَـا
وَقَـدْ تَقَـدَّمَ فِـي هَـذَا «أَبُـو حَسَـنٍ» إِلَى «الْحُسَيْنِ» وَأَوْصَى قَبْلَهُ «الْحَسَنَا»
يَـا رُبَّ جَـوْهَرِ عِلْـمٍ لَـوْ أَبُـوحُ بِـهِ لَقِيـلَ لِـي أَنْـتَ مِمَّـنْ يَعْبُـدُ الْـوَثَنَا
وَلَاسْـتَحَلَّ رِجَـالٌ مُسْـلِمُونَ دَمِـي يَـرَوْنَ أَقْـبَحَ مَـا يَأْتُونَـهُ حَسَنَـا

ولعلَّ المستقبلَ القريبَ يحملُ في طيَّاتِهِ **تأويلًا للمُتشابِه**، و**بيانًا للقرآنِ** يَكْشِفُ عن **عَجْزِ المَخلوقِ عنْ إدْرَاكِ كُنْهِ الخَالِقِ، وعَجْزِ مُدْرَكَاتِه عن تَصَوُّرِ صِفَاتِه، وفَقْرِ أدَوَاتِه عن بيانِ مكنونِ كلامِه** (سبحانه وتعالى)، فـ(**الإعْجَازُ**) الذي بَدَا يَتَجَلَّى في هذا الزمانِ هو (**إعجازُ القرآنِ في المعاني الكامنة وراءَ مدلولاتِ الدوالِّ الظاهرةِ**)، وهو ما يُسمَّى بـ (**المعاني الثواني**)، أو (**ما وراءَ المعنى**)، ولعلَّ ذلك ما نبَّه إليه «**القرآنُ**» حينما ختمَ «**سورة الكهف**» وهي السورةُ الواقيةُ مِن فتنةِ آخر الزمانِ (**فِتْنَةِ الْمَهْدِي والدَّجَّالِ**) – ختمَها بقولِ «**اللهِ**» تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾﴾ –رغمَ أنَّ سياقَ الآياتِ لا يكادُ يُفْضِي إلى هذه النتيجةِ التي هي نوعٌ مِن التَّحَدِّي جديدٌ يَطْرَأُ على زمنٍ يأتي في المستقبلِ(لعلَّه هذا الزمان الذي نعيشُه)–تَحَدٍّ في استكناهِ (**المعاني الثواني**)التي تحملُها (الألفاظُ الواردةُ)في هذه(السُّورةِ الواقيةِ)مِن تِلْكُمُ (الفتنةِ القادِمةِ).

فإذا كان التَّحدِّي الأوَّلُ في (**الألفاظِ والتراكيبِ**)، فإنَّ التَّحدِّي القادمَ في (**المعاني الكامنةِ وراءَ الألفاظِ والتراكيبِ الظاهرةِ**). وهذا مَا أظنُّ أنَّ «**الحروفَ المُقطَّعةَ**» جاءتْ لِتَحْمِلَنَا إليه، وتَدَلَّنَا بلطيفِ الخطاب عليه.

***

(فَاللَّهُمَّ .. مَغْفِرَةً نَبْلُغُ بِهَا الخُلُوصَ مِمَّا كَانَ سَبَبًا فِي الحِجَابِ فِيمَا سَبَقَ، ورَحْمَةً نُدْرِكُ بِهَا المُرَادَ فِيمَا هُوَ آتٍ .. يَا رَبَّ العَالَمِين)

الهوامش

(١) **يُؤكِّد «الخطَّابيُّ» تعذُّر معرفة وجه الإعجاز في القرآن**، وأنَّ الإعجاز أبين مِن احتياجه إلى دليلٍ أكثر مِن الوجود القائم المستمرِّ على وجه الدَّهر مِن لدنْ نزوله على النَّبيِّ «محمد» (صلَّى الله عليه وسلَّم) وإلى ما شاء «الله» (تعالى) أنْ يكون؛ يقول (رحمه الله): "**قد أكثر النَّاس الكلام فى هذا الباب** – [يقصد الإعجاز] – **قديمًا وحديثًا، وذهبوا فيه كلَّ مذهب مِن القول، وما وجدناهم بَعْدُ صَدَرُوا عن ريٍّ، وذلك لتعذُّر معرفة وجه الإعجاز في القرآن ومعرفة الأمر في الوقوف على كيفيَّته**" ا.هـ. (انظر: الخطَّابيّ: **بيان إعجاز القرآن**، ص٢١، طبع ضمن «**ثلاث رسائل في إعجاز القرآن**»، حقَّقها وعلَّق عليها: محمد خلف الله أحمد و د.محمد زغلول سلَّام، الطَّبعة الخامسة، دار المعارف، القاهرة – مصر، ٢٠٠٨م).

(٢) سهام خضر: **الإعجاز اللُغويّ في فواتح السُّور**، ص٧٥,٧٦، الطَّبعة الأولى، دار الكتب العلميَّة، بيروت – لبنان، ٢٠٠٨م.

(٣) القرطبيّ: **الجامع لأحكام القرآن**، مج١، جـ١، ص٨٩، تحقيق: عماد زكي البارودي وخيري سعيد، طبعة المكتبة التوفيقية، القاهرة – مصر، ٢٠٠٨م.

(٤) ابن عطيَّة الأندلسيّ: **المحرَّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، جـ١، ص٥٢، تحقيق: عبد السَّلام عبد الشَّافي محمَّد، الطبعةالأولى،دارالكتب العلميَّة، بيروت، لبنان،١٤٢٢هـ– ٢٠٠١م.

(٥) سورة **فصلت**: الآية ٢٦.

(٦) انظر: جلال الدِّين السِّيوطيّ: **الإتقان في علوم القرآن**، مج٢، حـ٤، ص٥، تحقيق: محمَّد أبو الفضل إبراهيم، طبعة مكتبة دار التراث، القاهرة – مصر، د.ت.

(٧) مصطفي صادق الرَّافعي: **إعجاز القرآن والبلاغة النبوية**، ص٢٠٨، الطبعة الثَّالثة، مطبعة المقتطف والمقطَّم، القاهرة – مصر، ١٣٤٦هـ – ١٩٢٨م.

(٨) الرَّافعي: **إعجاز القرآن والبلاغة النبوية**، ص٢٠٩.

(٩) يقول «**الرَّافعي**» (رحمه الله): "أمَّا الطريقة التي سلكها [أي: القرآن] إلى ذلك؛ فهي أنَّ التَّحدِّي كان مقصورًا على طلب المعارضة بمثل القرآن، ثم بعشر سور مثله مفتريات، لا يلتزمون فيها الحكمة ولا الحقيقة، **وليس إلَّا النَّظم والأسلوب**، وهم **أهل اللغة**، ولنْ تضيق أساطيرهم وعلومهم أنْ تسعها عشر سور،...، ثم قرن التحدِّي بالتَّأنيب والتَّقريع، ثم استفزَّهم بعد ذلك جملةً واحدةً، كما ينفخ الرَّماد الهامدة؛ فقال [(سبحانه)]: ﴿**وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ۝٢٣ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا**

﴿وَلَن تَفۡعَلُواْ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُۖ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٣-٢٤]، فقطع لهم أنَّهم (لنْ يفعلوا)، وهي كلمةٌ يستحيل أنْ تكون إلَّا مِن «الله»، ولا يقولها عربيٌّ في العرب أبدًا، وقد سمعوها واستقرَّت فيهم، ودارت على الألسنة، وعرفوا أنَّها تنفي عنهم الدهر نفيًا، وتُعْجِزَهُم آخر الأبد، فما فعلوا، ولا طمعوا قطُّ أنْ يفعلوا، وطارت الآية بعَجْزِهم، وأسجلته عليهم، ووسمتهم على ألسنتهم، فلمَّا رَأَوْا همَمَهم لا تسموا إلى ذلك، ولا تقارب المَطْمَعَةَ فيه، وقد انقطعت بهم كلُّ سبيلٍ إلى المعارضة – بذلوا له السَّيف كما يبذل المُحْرَج آخر وسعه، وأخطروا بأنفسهم وأموالهم، وانصرفوا عن توهين حجَّته إلى تهوينها على أنفسهم بكلامٍ مِن الكلام، قالوا:(**ساحر**)، و(**شاعر**)، و(**مجنون**)، و(**رجل يكتتب أساطير الأوَّلين**)، و(**إنَّما يعلِّمه بشر**)... وأمثال ذلك ممَّا أخذت به الحُجَّة عليهم، وكان إقرارًا مِنْهم بالعَجْزِ، إذْ جنحوا فيه إلى سياسة الطِّباع والعادات تلميحًا كما تقدَّم، وتصريحًا كقولهم:﴿أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٖ مَّجۡنُونِۭ﴾ [الصافات:٣٦]، وقولهم:﴿وَمَا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا فِيٓ ءَابَآئِنَا ٱلۡأَوَّلِينَ﴾[القصص:٣٦]. وأمر العادة ممَّا تُخْدَعُ به النفس عن الحقّ؛ لأنَّها أعراقٌ ضاربةٌ في القلوب، ملتفَّةٌ بالطَّبائع، وخاصةً في قومٍ كالعرب كانتْ العادةُ عندهم دينًا حينَ لمْ يكنْ الدِّينُ إلَّا عادةً..." ا.هـ. (الرَّافعي: **إعجاز القرآن والبلاغة النبويَّة**، ص٢٢١ وما بعدها).

(١٠) الرَّافعي: **إعجاز القرآن والبلاغة النبوية**، ص٢٢٠,٢٢١.

(١١) الرَّافعي: **إعجاز القرآن والبلاغة النبويَّة**، ص٢٥٠,٢٥١.

(١٢) سهام خضر: **الإعجاز اللغويّ في فواتح السُّور**، ص٥٩.

(١٣) أبو بكر الباقلَّاني: **إعجاز القرآن**، ص٣٢، تحقيق: أبو بكر عبد الرَّازق، طبعة مكتبة مصر، القاهرة – مصر، ١٩٩٤م.

(١٤) القرطبيّ: **الجامع لأحكام القرآن**، مج١، ج١، ص١٦٣.

(١٥) ابن كثير: **تفسير القرآن العظيم**، ج١، ص٤٢، الطَّبعة الأولى، المكتب الثقافي، القاهرة – مصر، ٢٠٠١م.

(١٦) وذلك في قوله (تعالى): ﴿نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ﴾ [القلم: ١].

(١٧) وذلك في قوله (تعالى): ﴿قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا﴾ [الإسراء: ٨٨]، وفي قوله (جلَّ شأنه): ﴿أَمۡ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥۚ بَل لَّا يُؤۡمِنُونَ ٣٣ فَلۡيَأۡتُواْ بِحَدِيثٖ مِّثۡلِهِۦٓ إِن كَانُواْ صَٰدِقِينَ﴾ [الطور: ٣٣,٣٤].

(١٨) وذلك في قوله (تعالى): ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [هود: ١٣,١٤].

(١٩) وذلك في قوله (تعالى): ﴿وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [يونس: ٣٧,٣٨].

(٢٠) وذلك في قوله (تعالى): ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٣,٢٤].

(٢١) انظر: د.عائشة عبد الرَّحمن: **الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق ـ دراسة قرآنية لغوية وبيانية**، ص١٧٩، ط٣، دار المعارف، القاهرة – مصر، ٢٠٠٤.

(٢٢) الزَّمخشريّ: **الكشَّاف عن حقائق التَّنزيل وعيون الأقاويل في وجود التَّأويل**، جـ١، ص٥٥، طبعة المكتبة التوفيقية، القاهرة – مصر، د.ت.

(٢٣) انظر: د.عائشة عبد الرَّحمن: **الإعجاز البياني للقرآن**، ص١٥٧.

(٢٤) سهام خضر: **الإعجاز اللغويّ في فواتح السُّور**، ص٥٤.

(٢٥) انظر: ابن منظور: **لسان العرب**، جـ٥، ص٣٦٩، مادة **(ع/ج/ز)**، الطَّبعة الأولى، دار صادر، بيروت – لبنان، د.ت.

(٢٦) انظر: ابن قتيبة: **تأويل مشكل القرآن**، ص٢٩٨ وما بعدها، تحقيق: السَّيد أحمد صقر، طبعة مكتبة دار التراث، القاهرة–مصر، ١٤٢٧هـ–٢٠٠٦م. ابن جرير الطبري: **جامع البيان في تأويل آي القرآن**، جـ١، ص٢٠٥ وما بعدها، تحقيق: أ.محمود محمَّد شاكر، طبعة مكتبة ابن تيمية، القاهرة – مصر، د.ت. ابن أبي حاتم: **تفسير القرآن العظيم مسندًا عن رسول الله (صلَّى الله عليه وسلَّم) والصَّحابة والتَّابعين**، جـ١، ص٣٢,٣٣، جـ٢، ص٥٨٣,٥٨٤، تحقيق: أسعد محمَّد الطَّيِّب، الطَّبعة الأولى، مكتبة نزار مصطفي الباز، مكَّة المكرَّمة–السُّعوديَّة، ١٤١٧هـ–١٩٩٧م. البغوي: **معالم التنزيل**،مجـ١، جـ١، ص٥٨,٥٩، تحقيق: محمَّد عبدالله النّمر وآخرين، الطَّبعةالأولى، دارطيبة للنَّشر والتَّوزيع، الرّياض – السُّعوديَّة، ١٤٠٩هـ – ١٩٨٩م. الزمخشريّ: **الكشَّاف**، جـ١، ص٤٧ وما بعدها. ابن عطيَّة الأندلسيّ: **المحرَّر**

الوجيز، جـ١، ص٨١ وما بعدها. أبوالفرج بن الجوزي: **زاد المسير في علم التَّفسير**، جـ١، ص٢٠ وما بعدها، الطَّبعةالثَّالثة، المكتب الإسلاميّ، بيروت – لبنان/دمشق–سوريًا، ١٤٠٤هـ –١٩٨٤م. فخر الدِّين الرَّازي: **مفاتيح الغيب**، جـ٢، ص٢ وما بعدها، الطَّبعة الأولى، دار الفكر، بيروت – لبنان، ١٤٠١هـ – ١٩٨١م. القرطبيّ: **الجامع لأحكام القرآن**، مجـ١، جـ١، ص١٦٢ وما بعدها. ابن جُزّي الكلبيّ: **التَّسهيل لعلوم التَّنزيل**، جـ١، ص٤٩، تحقيق: محمَّد سالم هاشم، الطَّبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان،١٤١٥هـ– ١٩٩٥م. أبو حيَّان الأندلسيّ: **البحر المحيط**، جـ١،ص١٥٦ وما بعدها، تحقيق:عادل أحمد عبدالموجود وآخرين، الطَّبعة الثَّالثة، دار الكتب العلميَّة، بيروت – لبنان، ٢٠١٠م. ابن كثير:**تفسير القرآن العظيم**، جـ١،ص٤٠وما بعدها. الزَّركشي:**البرهان في علوم القرآن**، جـ١، ص١٧٢وما بعدها، تحقيق: محمَّد أبوالفضل إبراهيم، الطَّبعةالثَّالثة، مكتبة دار التُّراث، القاهرة–مصر،١٤٠٤هـ– ١٩٨٤م. السّيوطيّ: **الإتقان في علوم القرآن**، مجـ٢، جـ٣، ص٢١ وما بعدها. الشَّوكاني: **فتح القدير الجامع بين فنَّيْ الرِّواية والدِّراية مِن علم التَّفسير**، جـ١، ص١٠١ وما بعدها، تحقيق: د.عبدالرَّحمن عميرة، طبعة دار الوفاء، مصر، د.ت. شهاب الدِّين الألوسيّ: **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسَّبع المثاني**، جـ١، ص٩٨ وما بعدها، طبعة دار إحياء التُّراث العربيّ، بيروت – لبنان، د.ت. الطَّاهر بن عاشور: **التَّحرير والتَّنوير**، جـ١،ص٢٠٦ وما بعدها، طبعة الدَّار التُّونسيَّة للنَّشر، تونس، ١٩٨٤م. محمَّد جمال الدِّين القاسمي: **محاسن التَّأويل**، جـ٢، ص٣٢، تحقيق: محمَّد فؤاد عبدالباقي، الطَّبعةالأولى، ١٣١٦هـ– ١٩٥٧م. محمَّد رشيد رضا: **تفسير المنار**، جـ٨، ص٢٧٤ وما بعدها، تحقيق: فؤاد سراج عبد الغفار، طبعة المكتبة التوفيقيَّة، القاهرة – مصر، د.ت.

(٢٧) **مذهبُ «التَّفويضِ والتَّسليمِ»**: أقصدُ به: **تفويضَ العلمِ بمعاني «الحروفِ المقطَّعةِ» إلى «اللهِ» (تعالى)، مع التَّسليمِ بأنَّها موضوعةٌ لحكمةٍ لا يعلمُها إلَّا «اللهُ» (سبحانه)**.

(٢٨) **مذهبُ «الخوضِ والتَّنقيبِ»**: أقصدُ به: **الخوضَ في بيانِ معاني «الحروفِ المقطَّعةِ»، والتَّنقيبَ عن وَجْهِ الحكمةِ في إنزالِها على تلك الهَيْئةِ**.

(٢٩) الرَّازي: **مفاتيح الغيب**، جـ٢، ص٤.

(٣٠) سورة **آل عمران**: الآية ٧.

(٣١) سورة **آل عمران**: الآية ٧.

(٣٢) الرَّازي: **مفاتيح الغيب**، جـ٢، ص٥.

(٣٣) انظر :البغوي: **معالم التَّنزيل**، جـ١، ص٥٨. ابن الجوزي: **زاد المسير**، حـ١، ص٢٠. الرَّازي: **مفاتيح الغيب**، جـ٢، ص٣. ابن جُزَيّ الكلبي: **التَّسهيل في علوم التَّنزيل**، جـ١، ص٤٩.

(٣٤) انظر : القرطبيّ: **الجامع لأحكام القرآن**، مجـ١، جـ١، ص١٦٢.

(٣٥) انظر : البغويّ: **معالم التَّنزيل**، جـ١، ص٥٨. الرَّازي: **مفاتيح الغيب**، جـ٢، ص٣.

(٣٦) انظر : القرطبيّ: **الجامع لأحكام القرآن**، مجـ١، جـ١، ص١٦٢.

(٣٧) محمَّد رشيد رضا: **تفسير المنار**، جـ٨، ص٢٧٨.

(٣٨) انظر : الرَّازي: **مفاتيح الغيب**، جـ٢، ص٣.

(٣٩) حديثُ **{أَصْحَابِي كَالنُّجُومِ بِأَيِّهِمُ اقْتَدَيْتُمْ اهْتَدَيْتُمْ}**- قال عنه «**ابنُ المُلقِّن**»(ت٨٠٤هـ): "**هذا الحديثُ غريبٌ، ولم يَرْوِهِ أحدٌ مِن أصحابِ الكتبِ المُعتمَدةِ، وله طُرُقٌ**"ا.هـ. والحديثُ: أخرجه «**الدَّارقطْنِيّ**»(ت٣٨٥هـ) في«**غرائب مالك**»مِن طريق«**الحسن بن مهدي بن عبدة المروزي**»، عن «**محمَّد بن أحمد السّكوتي**»، عن«**بكر بن عيسى المروزي أبي يحيى**»، عن «**جميل بن يزيد**»، عن«**مالك**»، عن«**جعفر بن محمَّد**»، عن أبيه، عن«**جابر**» به مرفوعًا، وقال (رحمه الله):"**لا يَثْبُتُ عن«مالكٍ»، ورواتُه مجهولون**"ا.هـ. ورواه«**ابنُ عبدالبرّ**»(ت٤٦٣هـ) مِن طريق «**سلَّام بن سليم**» قال:حدَّثنا«**الحارث بن غصين**»،عن «**الأعمش**»، عن«**أبي سُفيان**»،عن «**جابر**»، ثم أوردَ الحديثَ، وقال: "**هذا إسنادٌ لا تقومُ به حُجَّةٌ؛ لأنَّ «الحارثَ بنَ غصينٍ» مجهولٌ**" ا.هـ. ورواه «**عَبْدُ بنُ حُمَيْدٍ**» في «**مسنده**» مِن طريق «**حمزة النَّصيبيّ**»، عن «**نافع**»، عن «**ابن عمر**»، وذكرَ هذا الإسنادَ «**ابنُ حجرٍ العسقلانيّ**» (ت٨٥٢هـ) في «**التَّلخيص**»، وقال: "و«**حمزةُ» ضعيفٌ جدًّا**"، ثم قال (رحمه الله): "ورواه «**أبو ذرّ الهروي**» في كتاب «**السُّنَّة**» مِن حديث«**مِنْدَلٍ**»، عن«**جُوَيْبِرٍ**»، عن«**الضَّحَّاك بنِ مُزاحم**»، **وهو في غايةِ الضعفِ**، وقال«**أبوبكرٍ البزَّار**»:"**هذا الكلامُ لم يصحَّ عن النَّبِيِّ (صلَّى الله عليه وسلَّم)**"، وقال«**ابنُ حزمٍ**»:"**هذا خبرٌ مكذوبٌ موضوعٌ باطلٌ**"ا.هـ. هذا؛ وضعَّفه«**الألبانيّ**» في «**السِّلسلة الضَّعيفة**»، حديث رقم (٦٦)، وقال: "**حديثٌ موضوعٌ**" ا.هـ. (انظر: الدَّارقطنيّ: **غرائب مالك**، جـ١، ص٥٦. ابن عبد البرّ: **جامع بيان العلم وفضله**، جـ٢، ص١٨٣، حديث رقم(٨٩٥)، تحقيق: أبو عبد الرَّحمن فوَّاز أحمد زمرلي، الطَّبعة الأولى، مؤسَّسة الرِّسالة، بيروت ـ لبنان، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م. ابن الملقّن:**البدر المنير في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في الشَّرح الكبير**، جـ٩، ص٥٨٤، حديث رقم (١٨)، تحقيق: مصطفى أبو الغيط وآخرين، الطَّبعة الأولى، دار الهجرة للنَّشر والتَّوزيع، الرِّياض–السُّعوديَّة، ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م. ابن حجر العسقلاني: **التَّلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرَّافعي الكبير**، جـ٤، ص٤٦٢، حديث رقم

(٢٠٩٨)، الطَّبعة الأولى، دارالكتب العلميَّة، بيروت – لبنان، ١٤١٩هـ–١٩٨٩م، وله أيضًا: **لسان الميزان**، جـ١،ص٤٩١، تحقيق:عبدالفتَّاح أبو غدَّة. طبعة مكتب المطبوعات الإسلامية، غزة–فلسطين،د.ت. وانظر كذلك:محمَّد عبدالرَّحمن بن عبدالرَّحيم المباركفوري:**تحفة الأحوذي جامع التِّرمذي**، جـ١٠، ص١٥٥، طبعة دار الكتب العلميَّة، بيروت – لبنان، د.ت).

(٤٠) الرَّازي: **مفاتيح الغيب**، جـ٢، ص٥.

(٤١) انظر: البغويّ: **معالم التنزيل**، جـ١، ص٥٨. ابن عطيَّة الأندلسيّ: **المحرَّر الوجيز**، جـ١، ص٨٢. أبو حيَّان الأندلسيّ: **البحر المحيط**، جـ١، ص١٥٨,١٥٧. الزَّركشي: **البرهان في علوم القرآن**، جـ١، ص١٧٣.

(٤٢) انظر: الرَّازي: **مفاتيح الغيب**، جـ٢، ص٣.

(٤٣) انظر:جلال الدين السِّيوطيّ:**الدرّ المنثور في التفسير بالمأثور**،جـ١،ص١٢٧،تحقيق: د.عبدالله بن عبدالمحسن التُّركي وآخرين،الطَّبعةالأولى، مركز هجر للبحوث والدِّراسات العربيَّة والإسلاميَّة، القاهرة–مصر، ١٤٢٤هـ–٢٠٠٣م. وانظر له أيضًا: **الإتقان في علوم القرآن**، مجـ٢، جـ٣، ص٢١.

(٤٤) انظر: الرَّازي: **مفاتيح الغيب**، جـ٢، ص٣.

(٤٥) انظر: القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**، مجـ١، جـ١، ص١٦٢.

(٤٦) **راجع في ذلك:** ابن قتيبة: **تأويل مشكل القرآن**، ص٢٩٨ وما بعدها.

الطبري: **جامع البيان**، جـ١، ص٢٠٥ وما بعدها.

ابن أبي حاتم: **تفسير القرآن العظيم**، جـ١، ص٣٣,٣٢، جـ٢، ص٥٨٤,٥٨٣.

البغوي: **معالم التنزيل**، مجـ١، جـ١ ص٥٩,٥٨.

الزمخشريّ: **الكشَّاف**، جـ١، ص٤٧ وما بعدها.

ابن عطيَّة الأندلسيّ: **المحرَّر الوجيز**، جـ١، ص٨١ وما بعدها.

ابن الجوزي: **زاد المسير**، جـ١، ص٢٠ وما بعدها.

الرَّازي: **مفاتيح الغيب**، جـ٢، ص٢ وما بعدها.

القرطبيّ: **الجامع لأحكام القرآن**، مجـ١، جـ١، ص١٦٢ وما بعدها.

ابن جُزَي الكلبيّ: **التَّسهيل لعلوم التَّنزيل**، جـ١، ص٤٩.

أبو حيَّان الأندلسيّ: **البحر المحيط**، جـ١، ص١٥٦ وما بعدها.

ابن كثير: **تفسير القرآن العظيم**، جـ١، ص٤٠ وما بعدها.

الزَّركشي: **البرهان في علوم القرآن**، جـ١، ص١٧٢ وما بعدها.

السّيوطيّ: **الإتقان في علوم القرآن**، مجـ٢، جـ٣، ص٢١ وما بعدها.

الشَّوكاني: **فتح القدير**،جـ١، ص١٠١ وما بعدها.
الألوسيّ: **روح المعاني**، جـ١، ص٩٨ وما بعدها.
الطَّاهر بن عاشور: **التَّحرير والتَّنوير**، جـ١، ص٢٠٦ وما بعدها.
القاسمي: **محاسن التَّأويل**، جـ٢، ص٣٢.
محمَّد رشيد رضا: **تفسير المنار**، جـ٨، ص٢٧٤ وما بعدها.

(٤٧) الرَّازي: **مفاتيح الغيب**، جـ٢، ص٦,٥.

(٤٨) راجع في ذلك: أبو جعفر النَّحَّاس: **القطع والائتناف**، ص١١٧ وما بعدها، تحقيق: أحمد فريد المزيدي، الطَّبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م. أبو عمر الدَّاني: **المكتفى في الوقف والابتدا**، ص٣٨,٣٧، تحقيق: د.محيي الدِّين عبدالرَّحمن رمضان، الطَّبعةالثَّانية، دارعمَّار ،عُمَان، ١٤٢٨هـ–٢٠٠٧م. السَّجاوندي:**علل الوقوف**، حـ١، ص٣٦١ وما بعدها، تحقيق: د.محمَّد بن عبدالله بن محمَّد العيدي، الطَّبعة الثَّانية، مكتبة الرُّشد، الرِّياض–السُّعوديَّة، ١٤٢٧هـ– ٢٠٠٦م. ابن الطَّحَّان الأندلسيّ: **نظام الأداء في الوقف والابتداء**، ص١٣، تحقيق:جمال الدِّين محمَّد شرف، الطَّبعة الأولى، دار الصَّحابة للتُّراث، طنطا – مصر، ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩م. الأشموني: **منار الهدى في بيان الوقف والابتدا**، ص١٥٥,١٥٤، تحقيق: شريف أبو العلا العدوي، الطَّبعة الثَّانية، دار الكتب العلميَّة، بيروت– لبنان، ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٧م. وراجع أيضًا: أ.د. عبدالكريم إبراهيم عوض صالح: **الوقف والابتداء وصلتهما بالمعنى في القرآن الكريم**، ص٧٧ وما بعدها، الطَّبعة الثَّالثة، دار السلام، القاهرة – مصر، ١٤٣١هـ – ٢٠١٠م. أ.د. حمدي عبد الفتَّاح مصطفي خليل: **الوقوف اللازمة في القرآن الكريم وعلاقتها بالمعنى والإعراب**، ص٧٠ وما بعدها، الطَّبعة الثَّانية، المكتبة الأزهريَّة للتُّراث، القاهرة– مصر، ٢٠١٠م. د.إسماعيل صادق عبد الرَّحيم إسماعيل: **الوقف اللازم في القرآن الكريم – مواضعه وأسراره البلاغيَّة**، ص٢٤٠ وما بعدها، الطَّبعة الأولى، دار البصائر، القاهرة – مصر، ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م.

(٤٩) ذكر «**الأشموني**» أنَّ **<u>في المتشابه ما يزيد على ثلاثين قولًا</u>**. (انظر له: **منار الهدى في بيان الوقف والابتدا**، ص١٥٤).

(٥٠) سورة **آل عمران**: الآية ٧.

(٥١) سورة **يوسف**: الآية ١٠٠.

(٥٢) سورة **الأعراف**: الآية ٥٣.

(٥٣) سورة **يوسف**: الآية ٣٦.

(٥٤) ابن كثير: **تفسير القرآن العظيم**، جـ١ ، ص٣٣٩,٣٤٠.

(٥٥) سورة **آل عمران**: الآية ٧.

(٥٦) سورة **الفجر**: الآية ٢٢.

(٥٧) سورة **آل عمران**: الآية ٧.

(٥٨) ابن قتيبة: **تأويل مشكل القرآن**، ص١٤٣,١٤٤.

(٥٩) انظر: ابن كثير: **تفسير القرآن العظيم**، جـ١، ص٣٤٠.

(٦٠) الأثر: ذكره «**ابن عطية**» في «**المحرَّر الوجيز**» (جـ١، ص٤٠٣)، وأخرجه «**السِّيوطيّ**» في «**الإتقان في علوم القرآن**» (مجـ٢، جـ٣، ص٥) عن «**ابن المُنذر**» مِن طريق «**مجاهد**».

(٦١) ابن قتيبة: **تأويل مشكل القرآن**، ص١٤٣.

(٦٢) سورة **آل عمران**: الآية ٧.

(٦٣) يقول «**ابن حجر العسقلاني**»: "وفي معجم «**البغوي**» مِن طريق «**داوود بن عبد الرَّحمن**»، عن «**زيد بن أَسلم**»، عن«**ابن عمر**» أنَّه كان يُقرِّبُ «**ابنَ عبَّاسٍ**» ويقول: إنِّي رأيتُ رسولَ اللهِ (صلَّى الله عليه وسلَّم) دعاك، فمسح رأسك، وتَفَلَ في فِيك، وقال: **{اللَّهمَّ فقِّهه في الدِّين، وعلِّمه التَّأويل}**. ثم رواه مِن عدَّة طُرُقٍ". (انظر: ابن حجر العسقلاني: **الإصابة**، جـ٤، ص٩١، وانظر له – أيضًا–: **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، جـ١، ص١٥٥).

(٦٤) ابن قتيبة: **تأويل مشكل القرآن**، ص١٤٣.

(٦٥) سورة **الإسراء**: الآية ٨٥.

(٦٦) سورة **النازعات**: الآيات ٤٢ – ٤٤.

(٦٧) ابن قتيبة: **تأويل مشكل القرآن**، ص١٤٤.

(٦٨) القرطبيّ: **الجامع لأحكام القرآن**، مجـ١، جـ١، ص١٦٢,١٦٣.

(٦٩) القرطبيّ: **الجامع لأحكام القرآن**، مجـ١، جـ١، ص١٦٣.

(٧٠) المصدر السابق: الموضع نفسه.

(٧١) سهام خضر: **الإعجاز اللُّغويُّ في فواتح السُّور**، ص١٥٥.

(٧٢) انظر: الطَّبري: **جامع البيان**، جـ٦، ص١٧٤ وما بعدها. البغوي: **معالم التَّنزيل**، مجـ٢، جـ٣، ص٨,٩. الزَّمخشريّ: **الكشَّاف**، جـ١، ص٣٩١,٣٩٢. ابن عطيَّة الأندلسيّ: **المحرَّر الوجيز**، جـ١، ص٤٠٠,٤٠١. ابن الجوزيّ:**زاد المسير**، جـ١،ص٣٥٠,٣٥١. الرَّازي: **مفاتيح الغيب**، جـ٧، ص١٨٣ وما بعدها. أبو حيَّان الأندلسيّ: **البحر المحيط**، جـ٢، ص٣٩٦ وما بعدها. ابن كثير: **تفسير القرآن العظيم**، جـ١، ص٣٣٨. الزَّركشيّ: **البرهان في علوم القرآن**، جـ٢،

ص٦٨ وما بعدها. وله – أيضا – : **البحر المحيط في أصول الفقه**، جـ١، ص٤٥٠ وما بعدها، تحقيق: عبد القادر عبد الله العاني، ومراجعة: د.عمر سليمان الأشقر، الطَّبعة الثَّانية، وزارة الأوقاف والشُّئون الإسلاميَّة، الكويت، ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م. أبو حفص عمر بن عليّ بن عادل الدِّمشقيّ الحنبليّ: **اللباب في علوم الكتاب**، جـ٥، ص٣٠ وما بعدها، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبدالموجود وآخرين، الطَّبعة الأولى، دارالكتب العلميَّة، بيروت– لبنان،١٤١٩هـ– ١٩٩٨.السِّيوطيّ: **الإتقان في علوم القرآن**، مجـ٢، جـ٣، ص٣ وما بعدها. الشَّوكاني: **فتح القدير**، جـ١، ص٨٠ وما بعدها. الطَّاهر بن عاشور: **التَّحرير والتَّنوير**، جـ٣، ص١٥٥وما بعدها.محمَّد رشيد رضا:**تفسير المنار**،جـ٣،ص١٤٣وما بعدها. محمَّد عبدالعظيم الزِّرقاني: **مناهل العرفان في علوم القرآن**، جـ٢، ص٢١٥ وما بعدها، تحقيق: فوَّاز أحمد زمرلي، الطَّبعة الأولى، دارالكتاب العربي،بيروت– لبنان، ١٤١٥هـ–١٩٩٥م. د.عدنان محمَّد زرزور: **علوم القرآن مدخل إلى تفسير القرآن وبيان إعجازه**، ص١٦٣ وما بعدها، الطَّبعة الثَّانية، المكتب الإسلامى،بيروت–لبنان/دمشق– سوريا، ١٤٠٤هـ–١٩٨٤م. أ.د.إبراهيم محمَّد عبدالله الخولي: **متشابه القرآن**، ص١١وما بعدها، الطَّبعةالأولى، دارالبصائر،القاهرة– مصر، ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م.

(٧٣) سورة **آل عمران**: الآية ٧.

(٧٤) القاسمي: **محاسن التَّأويل**، جـ٤، ص٧٦٠.

(٧٥) انظر: أحمد عزِّ الدِّين عبد الله خلف الله: **مقدمة تحقيق كتاب «البرهان في متشابه القرآن»**؛ للإمام«**محمود بن حمزة بن نصر الكرماني**»،ص٤٧، الطَّبعة الأولى، دار الوفاء، المنصورة– مصر، ١٤١١هـ – ١٩٩١م.

(٧٦) سورة **آل عمران**: الآية ٧.

(٧٧) سورة **الزمر**: الآية ٩.

(٧٨) سورة **آل عمران**: الآية ٧.

(٧٩) **ذكر «الطَّاهر بن عاشور» أنَّ <u>للمتشابه عشرَ مراتبٍ</u>، وجعل «الحروفَ المُقطَّعةَ» في المرتبة الثَّانية.** (راجع ذلك في تفسيره «**التَّحرير والتَّنوير**»، جـ٣، ص١٥٨ وما بعدها).

(٨٠) الطَّاهر بن عاشور: **التَّحرير والتَّنوير**، جـ١، ص٢٠٧.

(٨١) انظر: محمَّد بن عبد الباقي بن يوسف الزُّرقاني: **شرح الزُّرقاني على موطَّأ الإمام مالك**، جـ٢، ص٣٠٢، طبعة دار الكتب العلميَّة، بيروت – لبنان، ١٤١١هـ.

(٨٢) ابن تيمية: **مقدمة في أصول التَّفسير**، ص٩١، تحقيق:الدَّاني بن منير آل زهوى، الطَّبعة الأولى، المكتبة العصريَّة، بيروت – لبنان، ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩م.

(٨٣) سورة **إبراهيم**: الآية ٤.

(٨٤) سورة **النحل**: الآية ٦٤.

(٨٥) الطَّبري: **جامع البيان**، جـ١، ص١١.

(٨٦) سورة **الشعراء**: الآيات ١٩٣ – ١٩٥.

(٨٧) الطَّبري: **جامع البيان**، جـ١، ص٢٢٣,٢٢٤.

(٨٨) المصدر السابق: جـ١، ص٢٢٤.

(٨٩) السِّيوطيّ: **الإتقان في علوم القرآن**، مجـ٢، جـ٣، ص٢٧.

(٩٠) د.عائشة عبدالرَّحمن: **الإعجاز البيانى للقرآن**، ص١٥١.

(٩١) سورة **الفرقان**: الآية ٦٠.

(٩٢) الطَّاهر بن عاشور: **التحرير والتنوير**، جـ١، ص٢١٠.

(٩٣) ابن كثير: **تفسير القرآن العظيم**، جـ١، ص٤٢.

(٩٤) أبو حيَّان الأندلسيّ: **البحر المحيط**، جـ١، ص١٥٨.

(٩٥) المصدر السابق: الموضع نفسه.

(٩٦) أبو حيَّان الأندلسيّ: **البحر المحيط**، جـ١، ص١٥٨.

(٩٧) المصدر السابق: الموضع نفسه.

(٩٨) السِّيوطيّ: **الإتقان في علوم القرآن**، مجـ٢، جـ٣، ص٢٧.

(٩٩) **أقصدُ بذلك أنَّ (مِن) في قولِه "مِن المُتشابِه" تبعيضيَّةٌ يُفهَمُ منها أنَّ هناك متشابهاتٍ أخرى غيرَها، وهو ما يتعارضُ مع قولِه "وسائرُ كلامِه مُحْكَمٌ" الذي يفيدُ أنَّها المُتشابِهُ الوحيدُ في «القرآنِ الحكيمِ».**

(١٠٠) أبومحمَّد بن حزم الظَّاهريّ:**النُّبَذ في أصول الفقه الظَّاهريّ**،ص٣٨، طبعةالعطَّار والخانجي، القاهرة ـ مصر، د.ت.

(١٠١) السِّيوطيّ: **الإتقان في علوم القرآن**، مجـ٢، جـ٣، ص٢١.

(١٠٢) المصدر السابق: مجـ٢، جـ٣، ص٣٣٧.

(١٠٣) انظر: برهان الدِّين أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي: **نظم الدُّرر في تناسب الآيات والسُّور**، جـ١، ص٦٨، طبعة دار الكتاب الإسلامي، القاهرة ـ مصر.

(١٠٤) المصدر السابق: جـ١، ص٦٩.

(١٠٥) الألوسي: **روح المعاني**، جـ١، ص٩٨.

(١٠٦) انظر: الزَّركشيّ: **البرهان في علوم القرآن**، جـ١، ص١٧٤.

(١٠٧) انظر: القرطبيّ: **الجامع لأحكام القرآن**، جـ١، ص١٦٢.

(١٠٨) محمَّد أبوزهرة: **زهرة التَّفاسير**، جـ١، ص٩٧، طبعة دار الفكر العربي، بيروت ـ لبنان، د.ت.

(١٠٩) انظر: السِّيوطيّ: **الإتقان في علوم القرآن**، مجـ٢، جـ٣، ص٢٧.

(١١٠) الزَّركشيّ: **البرهان في علوم القرآن**، جـ١، ص١٧٨.

(١١١) المصدر السابق: الموضع نفسه.

(١١٢) انظر: محمَّد رشيد رضا: **تفسير المنار**، جـ٨، ص٢٧٤.

(١١٣) المصدر السابق: جـ٨، ص٢٧٦.

(١١٤) الطَّاهر بن عاشور: **التَّحرير والتَّنوير**، جـ١، ص٢٠٦.

(١١٥) المصدر السابق: جـ١، ص٢٠٦، ٢٠٧.

(١١٦) الطَّاهر بن عاشور: **التَّحرير والتَّنوير**، جـ٣، ص١٥٨.

(١١٧) سورة **آل عمران**: الآية ٧.

(١١٨) الطَّاهر بن عاشور: **التَّحرير والتَّنوير**، جـ٣، ص١٥٥.

(١١٩) انظر: الرَّازي: **مفاتيح الغيب**، جـ٢، ص٤,٥.

(١٢٠) سورة **محمد**: الآية ٢٤.

(١٢١) سورة **النِّساء**: الآية ٨٢.

(١٢٢) سورة **الشُّعراء**: الآيات ١٩٢ ـ ١٩٥.

(١٢٣) سورة **النِّساء**: الآية ٨٣.

(١٢٤) سورة **النَّحل**: الآية ٨٩.

(١٢٥) سورة **الأنعام**: الآية ٣٨.

(١٢٦) سورة **آل عمران**: الآية ٤.

(١٢٧) سورة **البقرة**: الآية ٢.

(١٢٨) سورة **يونس**: الآية ٥٧.

(١٢٩) سورة **القمر**: الآية ٥.

(١٣٠) سورة **المائدة**: الآية ١٥.

(١٣١) سورة **العنكبوت**: الآية ٥١.

(١٣٢) سورة **إبراهيم**: الآية ٥٢.

(١٣٣) سورة **النِّساء**: الآية ١٤٧.

(١٣٤) سورة **طه**: الآيتان ١٢٣,١٢٤.

(١٣٥) سورة **الإسراء**: الآية ٩.

(١٣٦) سورة **البقرة**: الآية ٢٨٥.

(١٣٧) **الحديثُ صحيحٌ**: أخرجه الإمام «**مالك بن أنس**» في «**الموطَّأ**»، كتاب القَدَر، باب النهي عن القول بالقدر، بلفظ: {**تَرَكْتُ فِيكُمْ أَمْرَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا مَا تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَا: كِتَابَ اللهِ وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ**}. وأخرجه «**البيهقيُّ**» في «**السُّنن الكبرى**»، تحت رقم(٢٠١٢٣)، بلفظ:{... **تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إِنِ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ فَلَنْ تَضِلُّوا أَبَدًا: كِتَابَ «اللهِ» وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ**}. وأخرج «**الحاكم**» في «**المُستدرَك**»، كتاب «**العلم**»، تحت رقم(٣١٨)، من طريق «**إسماعيل بن أبي أُويْس**» بإسناده عن «**عكرمة**» عن «**ابن عبَّاس**» عن النَّبِيِّ (صلَّى الله عليه وسلَّم)نحوه، ثم قال: "وقد احتجَّ «**البُخاريُّ**» بأحاديث «**عكرمة**»، واحتجَّ «**مُسلِم**» بـ«**أبي أُوْيْس**»، وسائر رواته متَّفقٌ عليهم، **وهذا الحديث لخطبة النَّبِيِّ (صلَّى الله عليه وسلَّم) -[في حَجَّة الوداع]-متَّفقٌ على إخراجه في الصَّحيح**..."، وقال «**الذَّهبيُّ**» في «**التَّلخيص**»: "احتجَّ «**البُخاريُّ**» بـ«**عكرمة**»، واحتجَّ «**مُسلِم**» بـ«**أبي أُوْيْس عبد الله**»، **ولـه أصلٌ في الصَّحيح**"، وأقول: لم يخرِّجه «**البُخاريُّ**»، وخرَّجه «**مُسلِم**» في «**صحيحه**»، باب «**حَجَّة النَّبِيِّ (صلَّى الله عليه وسلَّم)**»، بلفظٍ متقارب بدون ذكر قوله {**وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ**}، وقد زاد «**الحاكم**» هذا في روايته، وقال: "**وذكر الاعتصام بالسُّنَّة في هذه الخطبة غريب، ويحتاج إليها، وقد وجدتُ له شاهدًا مِن حديث «أبي هريرة»**... "، وذكر الحديث، تحت رقم (٣١٩). وقد حكم عليه «**الألباني**» بالصِّحَّة، وذكره فى «**سلسلة الأحاديث الصَّحيحة**»، تحت رقم (١٧٦١). (انظر: مالك بن أنس: **الموطَّأ**، جـ٣، ص٦٤٤، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، طبعة دار الحديث، القاهرة–مصر،١٤٢١هـ ـ٢٠٠١م. أبو بكر البيهقيّ: **السُّنن الكبرى**، جـ١٠،ص١١٤، تحقيق: محمَّد عبدالقادر عطا، طبعة دار الباز، مكَّة المكرَّمة– السُّعوديَّة،١٤١٤هـ١٩٩٤م.الحاكم النيسابوري:**المُستدرَك على الصَّحيحين**،جـ١، ص١٧٢, ١٧١، تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا، الطَّبعة الأولى، دار الكتب العلميَّة، بيروت– لبنان، ١٤١١هـ ـ١٩٩٠م. أبوالحسين مُسلم بن الحجاج: **الجامع الصحيح**، جـ٢، ص٨٨٦، تحقيق: محمَّد فؤاد عبدالباقي، طبعة دار إحياء التُّراث العربي، بيروت–لبنان. ناصر الدِّين الألباني: **سلسلة الأحاديث الصَّحيحة**،جـ٤، ص٣٥٥، طبعة مكتبة دارالمعارف،القاهرة– مصر).

(١٣٨) **الحديث: مختلف فى صحته**: أخرجه «**التِّرمذيّ**» في «**سننه**»، كتاب: فضائل القرآن، باب: ما جاء فى فضل القرآن، تحت رقم (٢٩٠٦)، وقال: "**هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ، لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ هَذَا**

الوَجْهِ، وَإِسْنَادُهُ مَجْهُولٌ" ا.هـ، وأخرجه «**الدَّارميّ**» في «**سننه**»، باب: فضل مَن قرأ القرآن، تحت رقم (٣٣٣١)، ثم قال: "**قال «حسين سليم أسد»: في إسناده مجهولان: «أبو المختار سعد الطَّائي» و«ابن أخي الحارث»**"، وأخرجه «**ابن أبي شيبة**» في «**مصنَّفه**»، تحت رقم (٣٠٠٠٧)، و«**البيهقيّ**» في «**شُعَب الإيمان**»، باب: تعظيم القرآن، تحت رقم (١٧٨٨)، و«**الحاكم**» في«**المُستدرَك**»، باب:أخبار في فضائل القرآن جملةً، وقال عنه:"**هذا حديثٌ صحيحُ الإسنادِ، ولم يُخرِّجاه**". أقول:هذا الحديث إنْ كان ضعيفَ الإسناد؛ فإنَّه صحيحُ المعنى. (انظر: أبوعيسى التِّرمذي: **سنن التِّرمذي**، جـ٥، ص٢٢، تحقيق:بشَّارعوَّاد معروف، طبعة دارالغرب الإسلامي،بيروت–لبنان،١٩٩٨م. أبومحمَّد الدَّارمي: **سنن الدَّارمي**، جـ٢، ص٥٢٦، تحقيق: فوَّاز أحمد زمرلي، وخالد السَّبع العلمي، الطَّبعة الأولى، دار الكتاب العربي، بيروت ـ لبنان، ١٤٠٧هـ. أبو بكر بن أبي شيبة: **المصنَّف في الأحاديث والآثار**، جـ٦، ص١٢٥، تحقيق: كمال يوسف الحوت، الطَّبعة الأولى، مكتبة الرُّشد للنَّشر والتَّوزيع،الرِّياض–السُّعوديَّة، ١٤٠٩هـ. أبو بكر البيهقيّ: **شُعَب الإيمان**، جـ٣، ص٣٣٥، تحقيق: د.عبد العليّ عبد الحميد حامد، الطَّبعة الأولى، مكتبة الرُّشد للنَّشر والتَّوزيع، الرِّياض ـ السُّعوديَّة، ١٤٢٣هـ–٢٠٠٣م. الحاكم النِّيسابوري:**المُستدرَك على الصَّحيحين**، جـ١، ص٧٤١).

(١٣٩) انظر: الطَّبري:**جامع البيان**،جـ١،ص٢٠٦.ابن عطيَّةالأندلسيّ:**المُحرَّر الوجيز**،جـ١، ص٨٢. القرطبيّ: **الجامع لأحكام القرآن**، جـ١، ص١٦٤. ابن الجوزي: **زاد المسير**، جـ١، ص٢١. أبو حيَّان الأندلسيّ: **البحر المحيط**، جـ١، ص١٥٦. السِّيوطي: **الدُّرّ المنثور**، جـ١،

(١٤٠) انظر: البغوي: **معالم التنزيل**، جـ١، ص٥٩. ابن كثير :**تفسير القرآن العظيم**، جـ١، ص٤٠.

(١٤١) انظر :الطَّبري: **جامع البيان**، جـ١، ص٢٠٥. البغوي:**معالم التنزيل**،جـ١ ص٥٩. ابن عطيَّة الأندلسيّ: **المُحرَّر الوجيز**، جـ١، ص٨٢. القرطبيّ: **الجامع لأحكام القرآن**، جـ١، ص١٦٥. أبو حيَّان الأندلسيّ: **البحر المحيط**، جـ١، ص١٥٦. السِّيوطي: **الدُّرّ المنثور**، جـ١، ص١٢٣.

(١٤٢) انظر: البغوي:**معالم التنزيل**،جـ١ ص٥٩. أبوحيَّان الأندلسيّ:**البحر المحيط**، جـ١، ص١٥٧.

(١٤٣) انظر: الطَّبري: **جامع البيان**، جـ١، ص٢٠٧. ابن عطيَّة الأندلسيّ: **المُحرَّر الوجيز**، جـ١، ص٨٢. السِّيوطي: **الدُّرّ المنثور**، جـ١، ص١٢١,١٢٢.

(١٤٤) انظر: ابن أبي حاتم: **تفسير القرآن العظيم مُسْنَدًا عن رسول الله (صلَّى الله عليه وسلَّم) والصَّحابة والتَّابعين**، جـ١، ص٣٢، تحقيق: أسعد محمَّد الطَّيب، الطَّبعة الأولى، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكَّة المكرَّمة/الرِّياض–المملكة العربيَّة السُّعوديَّة، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م. الطَّبري: **جامع البيان**، جـ١، ص٢٠٦.السِّيوطي:**الدُّرّ المنثور**، جـ١، ص١٢٢,١٢٣.

(١٤٥) انظر: ابن عطيَّة الأندلسيّ: **المُحرَّر الوجيز**، جـ١، ص٨٢.

(١٤٦) انظر: البغوي: **معالم التَّنزيل**، جـ١، ص٥٩.

(١٤٧) انظر: أبوإسحاق الزَّجَّاج: **معاني القرآن وإعرابه**، جـ١، ص٦٠، تحقيق: د.عبدالجليل عبده شلبي، طبعة دارالحديث، القاهرة ـ مصر،١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م. البغوي: **معالم التَّنزيل**، جـ١، ص٥٨,٥٩. القرطبيّ: **الجامع لأحكام القرآن**، جـ١، ص١٦٣(**من رِواية «أبى الضُّحى» عن «ابن عبَّاس»**).

(١٤٨) انظر: أبو حيَّان الأندلسيّ: **البحر المحيط**، جـ١، ص١٥٧.

(١٤٩) انظر: ابن أبى حاتم: **تفسير الكتاب العظيم**، جـ١، ص٣٣. الطَّبري: **جامع البيان**، جـ١، ص٢٠٥,٢٠٦، ابن عطيَّة الأندلسيّ: **المُحرَّر الوجيز**، جـ١، ص٨٢. السِّيوطي: **الدُّرّ المنثور**، جـ١، ص١٢٣.

(١٥٠) انظر: أبو حيَّان الأندلسيّ: **البحر المحيط**، جـ١، ص١٥٦.

(١٥١) انظر: القرطبيّ: **الجامع لأحكام القرآن**، جـ١، ص١٦٣.

(١٥٢) المصدر السابق: الموضع نفسه.

(١٥٣) **(حِسَابُ الْجُمَّلِ): ضَرْبٌ مِن الحساب يُجْعَلُ فيه لكلِّ حرفٍ مِن الحروف الأبجديَّة عددٌ مِن «الواحد» إلى «الألف» على ترتيبٍ خاصٍّ**، وقد يُطْلَقُ عليه اسمُ **(حساب أبي جاد)**، وقد يطلق عليه **(علم الحرف)** و**(علم الحروف)** و**(علم الأرثماطيقي)**، وقد يطلق عليه – أيضًا – اسم **(الجيماتريا)** وهى معربة من كلمة (gematria)، و**(الجيماتريا)** أو **(الجومطريا)** هي في الأصل «**علم الهندسة**». (انظر: د.حاتم عبدالرَّحيم عبدالكريم جلال التميمي: **حساب الجُمَّل في كتب التَّفسير**، ص٢٦٨,٢٦٩، مجلة الشَّريعة والدِّراسات الإسلاميَّة، جامعة الكويت، الكويت، العدد ٨٧، السنة ٢٦، محرم ١٤٣٣هـ ـ ديسمبر ٢٠١١م).

(١٥٤) الطَّبري: **جامع البيان**، جـ١، ص٢١٦.

(١٥٥) سورة **البقرة**: الآيتان ١,٢.

(١٥٦) سورة **آل عمران**: الآية ٧.

(١٥٧) انظر: الطَّبري: **جامع البيان**، جـ١، ص٢١٦ وما بعدها.

(١٥٨) المصدر السابق: جـ١، ص٢٠٨. وانظر كذلك: البغوي: **معالم التنزيل**، جـ١، ص٥٨. السِّيوطي: **الدُّرّ المنثور**، جـ١، ص١٢٢.

(١٥٩) انظر: ابن أبى حاتم: **تفسير القرآن العظيم**، جـ١، ص٣٣، وكذلك: جـ٢، ص٥٨٤.

(١٦٠) انظر: الزَّركشي: **البرهان في علوم القرآن**، جـ١، ص١٧٤.

(١٦١) انظر: الرَّازي: **مفاتيح الغيب**، جـ٢، ص٥.

(١٦٢) الألوسي: **روح المعانى**، جـ١، ص١٦٥.

(١٦٣) الشيخ محمَّد عبدالعظيم الزُّرقاني:**مناهل العرفان فى علوم القرآن**،جـ١، ص١٨٦,١٨٧، تحقيق: فوَّاز أحمد زقرلي،الطَّبعةالأولى، دارالكتاب العربي،بيروت–لبنان،١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.

(١٦٤) المصدر السابق: جـ١، ص١٩٣,١٩٤.

(١٦٥) **الحديث**: أخرجه «**البُخاريُّ**» في «**التَّاريخ الكبير**»: مجـ١، جـ١، ص١٩٢، و«**التِّرمذيُّ**» في «**سُننِه**»: جـ٥، ص٢٥، باب: فضائل القرآن، تحت رقم (٢٩١٠)، وقال: "**حسنٌ صحيحٌ غريبٌ**"، وصحَّحه «**الحاكمُ**» في «**المُستدرَك**»: جـ١، ص٥٦٦، وسكتَ عنه «**الذَّهبيُّ**»، ورواه «**البيهقيُّ**» في«**شعب الإيمان**»:جـ٣،ص٣٧١،تحت رقم(١٨٣١)،و«**أبونعيم**» في «**الحِلية**»، جـ٦، ص٢٦٣، وصحَّحه «**الألبانيُّ**» في «**صحيح الجامع الصَّغير**»: تحت رقم (٦٣٤٥).

(١٦٦) سورة **البقرة**: الآية ١٦٣.

(١٦٧) سورة **آل عمران**: الآيتان ١,٢.

(١٦٨) انظر: ابن أبي حاتم: **تفسير القرآن العظيم**، جـ٢، ص٥٨٣. وهذا الحديث رواه «**التِّرمذيُّ**» في«**سُنَنِه**»حـ٥، ص٤٨٣، كتاب الدعوات، تحت رقم ٣٤٧٨، وقال: "**حديثٌ حسنٌ صحيحٌ**"، ورواه«**البيهقيُّ**»في«**شعب الإيمان**»:جـ٤،ص٤٩،تحت رقم(٢١٦٦).كذلك أخرجه «**الطَّحاويُّ**» في«**شرح مُشكَل الآثار**»: جـ١، ص١٦٤، باب: بيان مُشكَل ما رُوِيَ عن رسول الله (صلَّى الله عليه وسلَّم)، تحت رقم (١٧٨)، تحقيق: شُعيْب الأرنؤوط، الطَّبعة الأولى، مؤسَّسة الرِّسالة، بيروت ـ لبنان، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م.

(١٦٩) انظر: الطَّبري: **جامع البيان**، جـ١، ص٢٠٨.

(١٧٠) انظر: السِّيوطي: **الدُّر المنثور**، جـ١، ص١٢٤ وما بعدها.

(١٧١) انظر: الشَّوكاني: **فتح القدير**، جـ١، ص١٠٥,١٠٦.

(١٧٢) ابن كثير: **تفسير القرآن العظيم**، جـ١، ص٤٢,٤٣.

(١٧٣) المصدر السابق: جـ١، ص٤٢.

(١٧٤) انظر: الطَّبري: **جامع البيان**، جـ١، ص٢٢٠.

(١٧٥) الطَّاهر بن عاشور: **التَّحرير والتَّنوير**، جـ١، ص٢٠٨,٢٠٩.

(١٧٦) الشَّوكاني: **فتح القدير**، جـ١، ص١٠٥.

(١٧٧) سورة **البقرة**: الآيتان ١,٢.

(١٧٨) الشَّوكاني: **فتح القدير**، جـ١، ص١٠٦.

(١٧٩) الرَّازي: **مفاتيح الغيب**، جـ٢٧، ص٩٦.

(١٨٠) سورة **يوسف**: الآية ٢.

(١٨١) الرَّازي: **مفاتيح الغيب**، جـ٢٧، ص٩٦.

(١٨٢) السِّيوطي: **الإتقان في علوم القرآن**، مجـ٢، جـ٣، ص٢٦.

(١٨٣) المصدر السابق: مجـ٢، جـ٣، ص٢٦,٢٧.

(١٨٤) الشَّوكاني: **فتح القدير**، جـ١، ص١٠٧.

(١٨٥) المصدر السابق: الموضع نفسه.

(١٨٦) المصدر السابق: الموضع نفسه.

(١٨٧) ابن تيمية: **مُقدِّمة في أصول التفسير**، ص٩١.

(١٨٨) سورة **الصَّافات**: الآيتان ٦٤,٦٥.

(١٨٩) ابن عطيَّة الأندلسيّ: **المُحرَّر الوجيز**، جـ١، ص٨٢.

(١٩٠) المصدر السابق: الموضع نفسه.

(١٩١) المصدر السابق: جـ١، ص٨٢,٨٣.

(١٩٢) أبوعبيدة: **مجاز القرآن**، جـ١ ص٢٨، تحقيق: د.محمد فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي، القاهرة.

(١٩٣) الأخفش الأوسط: **معاني القرآن**، جـ١، ص٢٢، تحقيق: د.هدى محمود قُراعة، الطَّبعة الثَّانية، مكتبة الخانجي، القاهرة ـ مصر، ١٤٣١هـ ـ ٢٠١٠م.

(١٩٤) الأخفش الأوسط: **معاني القرآن**، جـ١، ص٢٢.

(١٩٥) انظر: ابن الجوزى: **زاد المسير**، جـ١، ص٢١.

(١٩٦) أبو إسحاق الزَّجَّاج: **معاني القرآن وإعرابه**، جـ١، ص٦٣,٦٤، تحقيق: د.عبد الجليل عبده شلبي، طبعة دار الحديث، القاهرة ـ مصر، ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م.

(١٩٧) المصدر السابق: جـ١، ص٦٤.

(١٩٨) ابن قتيبة: **تأويل مُشكَل القرآن**، ص٢٩٨ وما بعدها، تحقيق: السيد أحمد صقر، طبعة مكتبة دار التُّراث، القاهرة ـ مصر، ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م.

(١٩٩) المصدر السابق:ص٣٠٠. **وقدْ ذكرَ«أبو حيَّان التَّوحيدي» هذا الكلامَ في «البحر المحيط»، وحكاه عن «الأخفش»، ولا أظنُّه «الأخفش الأوسط»، فإنَّني راجعتُ كتابَه «معانى القرآن» في موضع تفسير﴿الٓمٓ﴾، فلم أجدْه ذكرَ شيْئًا مِن هذا، فلربَّما قصدَ«الأخفش الأصغر» أو «الأخفش الأكبر» وأظنُّه أبعدَ مِن الأوَّل. هذا؛ وقدْ ذكرتْ د.«عائشة عبد الرَّحمن» قريبًا مِن**

ذلك، ونسبته للإمام «ابن قيّم الجوزيَّة»(رحمه الله).(انظر:أبوحيَّان التَّوحيدي:**البحر المحيط**، جـ١، ص١٥٧. وانظر: د.عائشة عبدالرَّحمن: **التفسير البياني للقرآن الكريم**، جـ٢، ص٤٢، الطِّبعة السَّادسة، دار المعارف، القاهرة ـ مصر، ٢٠٠٥م).

(٢٠٠) ابن قتيبة: **تأويل مشكل القرآن**، ص٣٠٦.

(٢٠١) انظر: الطَّبري: **جامع البيان**، جـ١، ص٢٠٨.

(٢٠٢) الطَّبري: **جامع البيان**، جـ١، ص٢٢٠,٢٢١.

(٢٠٣) الطَّبري: **جامع البيان**، جـ١، ص٢٢١,٢٢٢.

(٢٠٤) المصدر السابق: جـ١، ص٢٢٢,٢٢٣.

(٢٠٥) الزَّركشي: **البرهان في علوم القرآن**، جـ١، ص١٧٥.

(٢٠٦) الألوسي: **روح المعاني**، جـ١، ص١٠٣.

(٢٠٧) ابن كثير: **تفسير القرآن العظيم**، جـ١، ص٤١.

(٢٠٨) الرَّازي: **مفاتيح الغيب**، جـ٢، ص٩.

(٢٠٩) المصدر السابق: جـ٢، ص١١.

(٢١٠) قوله: "**قِفَا نَبْكِ**" – جزءٌ مِن مَطْلَعِ المُعلَّقةِ المشهورةِ للشَّاعرِ الجاهليّ «**امرئ القيس**»، والتي يقولُ فيها: **قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَى حَبِيبٍ وَمَنْزِلِ بِسِقْطِ اللِّوَى بَيْنَ الدَّخُولِ وَحَوْمَلِ**

(انظر: **ديوان امرئ القيس**؛ ص٨، تحقيق: محمَّد أبو الفضل إبراهيم، الطّبعة الخامسة، دار المعارف، القاهرة ـ مصر١٩٩٠م. وانظر أيضًا: أبوبكر بن الأنباري: **شرح المعلَّقات السَّبع الطوال الجاهليَّات**،ص١٥،تحقيق: عبدالسَّلام محمَّد هارون، الطَّبعةالخامسة، دار المعارف، القاهرة ـ مصر، ١٩٩٣م).

(٢١١) قوله: "**عَفَتِ الدِّيَارُ**"–جزءٌ مِن مَطْلَعِ المُعلَّقةِ المشهورةِ للشَّاعرِ المخضرمِ «**لَبِيدِ بنِ رَبِيعَةَ العَامِرِيّ**»، والتي يقولُ فيها:

عَفَتِ الدِّيَارُ مَحَلُّهَا فَمُقَامُهَا بِمِنًى تَأَبَّدَ غَوْلُهَا فَرِجَامُهَا

(انظر: **شرح ديوان لَبِيد بن رَبِيعَة العَامِرِيّ**، ص٢٩٧، تحقيق: د.إحسان عبَّاس، طبعة وزارة الإرشاد والأنباء بالكويت،١٩٦٢م. وانظر أيضًا: أبو بكر بن الأنباري: **شرح المعلَّقات السَّبع الطوال الجاهليَّات**، ص٥١٧).

(٢١٢) سورة **الفاتحة**: الآية ٢.

(٢١٣) سورة **التَّوبة**: الآية ١.

(٢١٤) سورة **النِّساء**: الآية ١١.

(٢١٥) سورة **النُّور**: الآية ٣٥.

(٢١٦) الزَّمخشري: **الكشَّاف**، جـ١، ص٥٥,٥٦.

(٢١٧) **(بَزَّتْ)** أيْ: غلبَتْ وسلبَتْ.

(٢١٨) الزَّمخشري: **الكشَّاف**، جـ١، ص٥٥.

(٢١٩) المصدر السابق: الموضع نفسه.

(٢٢٠) انظر: الرَّازي: **مفاتيح الغيب**، جـ٢، ص٧.

(٢٢١) انظر: القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**، جـ١، ص١٦٣.

(٢٢٢) **وقدْ سلكَ الإمامُ«ابنُ قيّم الجوزيَّة» مَسلَكَ شيخِه«ابنِ تيمية» فحاولَ أنْ يكشفَ عن بعضِ أسرارِ تلك الحروفِ دونَ التَّعَرُّضِ لحقيقةِ معناها.** (انظر: **بدائع التَّفسير الجامع لمَا فسَّره الإمام ابن قيّم الجوزيَّة:** ص٩٠,٩١، جمعه وخرَّج أحاديثه: يُسري السيِّد محمَّد، راجعه ونسَّق مادَّته ورتَّبها: صالح أحمد الشَّامي، الطَّبعة الأولى، دارابن الجوزي، المملكة العربيَّة السُّعوديَّة، رمضان ١٤٢٧هـ).

(٢٢٣) انظر: ابن كثير: **تفسير القرآن العظيم**، جـ١، ص٤٢.

(٢٢٤) سورة **البقرة**: الآيتان ١,٢.

(٢٢٥) سورة **آل عمران**: الآيات ١ ـ ٣.

(٢٢٦) سورة **الأعراف**: الآيتان ١,٢.

(٢٢٧) سورة **إبراهيم**: الآية ١.

(٢٢٨) سورة **السَّجدة**: الآيتان ١، ٢.

(٢٢٩) سورة **فُصِّلت**: الآيات ١ ـ ٣.

(٢٣٠) سورة **الشُّورى**: الآيات ١ ـ ٣.

(٢٣١) ابن كثير: **تفسير القرآن العظيم**، جـ١، ص٤٢.

(٢٣٢) الزَّركشي: **البرهان في علوم القرآن**، جـ١، ص١٧٦.

(٢٣٣) البقاعي: **نَظْم الدُّرر**، جـ١، ص٧٩,٨٠.

(٢٣٤) ابن الجوزى: **زاد المسير**، جـ١، ص٢١.

(٢٣٥) الزَّركشي: **البرهان في علوم القرآن**، جـ١، ص١٦٧.

(٢٣٦) المصدر السابق: الموضع نفسه.

(٢٣٧) سورة **البقرة**: الآية ٢٣.

(٢٣٨) سورة **مريم**: الآية ١.

(٢٣٩) سورة **العنكبوت:** الآيتان ١,٢.

(٢٤٠) سورة **الرُّوم:** الآيتان ١,٢.

(٢٤١) الطَّاهر بن عاشور: **التَّحرير والتَّنوير**، جـ١، ص٢١٢,٢١٣.

(٢٤٢) د.عائشة عبد الرَّحمن: **الإعجاز البياني للقرآن**، ص١٥٥.

(٢٤٣) د.عائشة عبد الرَّحمن: **التَّفسير البياني للقرآن الكريم**، جـ٢، ص٤٢، الطَّبعة السَّادسة، دار المعارف، القاهرة ـ مصر، ٢٠٠٥م.

(٢٤٤) د.عائشة عبد الرَّحمن: **الإعجاز البياني للقرآن**، ص١٥٧.

(٢٤٥) انظر: المرجع السابق: ص١٦٠.

(٢٤٦) د.عائشة عبد الرَّحمن: **الإعجاز البياني للقرآن**، ص١٧٩.

(٢٤٧) المرجع السابق: ص١٨٠.

(٢٤٨) محمَّد أبو زهرة: **زهرة التَّفاسير**، جـ١، ص٩٥,٩٦.

(٢٤٩) محمَّد رشيد رضا: **تفسير المنار**، جـ٨، ص٢٧٤.

(٢٥٠) انظر: ابن كثير: **تفسير القرآن العظيم**، جـ١، ص٤٢.

(٢٥١) السِّيوطي: **الإتقان في علوم القرآن**، مجـ٢، جـ٣، ص٢٧.

(٢٥٢) انظر: المصدر السابق: الموضع نفسه.

(٢٥٣) انظر: المصدر السابق: الموضع نفسه.

(٢٥٤) محمَّد رشيد رضا: **تفسير المنار**، جـ٨، ص٢٧٩.

(٢٥٥) سورة **فُصِّلت:** الآية ٢٦.

(٢٥٦) الرَّازى: **مفاتيح الغيب**، جـ٢، ص٧.

(٢٥٧) ابن الجوزي: **زاد المسير**، جـ١، ص٢٢.

(٢٥٨) الرَّازى: **مفاتيح الغيب**، جـ٢، ص١٢.

(٢٥٩) الرَّازى: **مفاتيح الغيب**، جـ٢، ص١٢.

(٢٦٠) د.محمد عبد الله دراز: **النبأ العظيم .. نظرات جديدة في القرآن الكريم**، ص٢٢٤، اعتنى به: عمرو الشرقاوي،الطبعة الثانية،دارالعصرية للنشر والتوزيع، القاهرة–مصر،١٤٤١هـ–٢٠٢٠م.

(٢٦١) د.محمد عبد الله دراز: **النبأ العظيم**، ص٢٢٤.

(٢٦٢) محمَّد رشيد رضا: **تفسير المنار**، جـ٨، ص٢٧٦.

(٢٦٣) سورة **العنكبوت:** الآية ٤٨.

(٢٦٤) الزَّمخشري: **الكشَّاف**، جـ١، ص٥٦.

(٢٦٥) فقد روي عنه أنه (رضي اللهُ عنه) قال: "**إِنَّ أَصْحَابَ النَّبِيِّ (صلَّى اللهُ عليه وسلَّم) كَانُوا يَسْأَلُونَ عَنِ الْخَيْرِ، وَكُنْتُ أَسْأَلُ عَنِ الشَّرِّ مَخَافَةَ أَنْ أُدْرِكَهُ**". (انظر: علاء الدين علي بن حسام الدين المتقي الهندي= =البرهان فوري(ت٩٧٥هـ)**:كنزالعمال في سنن الأقوال والأفعال**، جـ١٤، ص٦٠١، رقم ٣٩٦٨٨، تحقيق: بكري حياني– صفوة السقا، الطبعة الخامسة، مؤسسة الرسالة، بيروت ـ لبنان، ١٤٠١هـ/١٩٨١م).

(٢٦٦) الشَّوكاني: **فتح القدير**، جـ١، ص١٠٧.

(٢٦٧)عبدالرَّحمن السَّعدي:**تيْسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنَّان**،ص٤٠،تحقيق: عبدالرَّحمن بن معَلَّا اللّويحق المطيري،الطَّبعةالأُولى، دارابن الهيثم،القاهرة ـ مصر، ١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠م.

(٢٦٨) انظر: أ.د.السيد إسماعيل علي سليمان: **فواتح سور القرآن الكريم – أنواعها ودلالتها**، ص ١١ – ٥١، الطبعة الثالثة، مكتبة الإيمان، القاهرة – مصر، ١٤٣٣هـ – ٢٠١٢م.

(٢٦٩) د.السيد إسماعيل: **فواتح سور القرآن الكريم**، ص٥١.

(٢٧٠) سورة **آل عمران**: الآية ٧.

(٢٧١) السيوطي: **الإتقان في علوم القرآن**، جـ٣، ص٦.

(٢٧٢) سورة **القيامة**: الآيتان ١٨,١٩.

(٢٧٣) سورة **ص**: الآية ٣٨/٨٨.

(٢٧٤) د.محمد طاهر القادري: **فلسفة الحروف المقطعة – تفسير (ألم) نموذجا**، ص٢٠، الطبعة الأولى، دار الضياء، الكويت، ١٤٤١هـ – ٢٠٢٠م.

(٢٧٥) انظر: أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت٧٩١هـ): **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، جـ١، ص٩٣، دار الفكر، بيروت – لبنان، ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م.

(٢٧٦) انظر: أبوالليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي(ت٣٧٥هـ): **بحر العلوم**، جـ١، ص٢١، دارالكتب العلمية، بيروت–لبنان،د.ت. أبو عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت٦٧١هـ): **الجامع لأحكام القرآن**، جـ١، ص١٥٦،تحقيق:أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش،دارالكتب المصرية،القاهرة،١٣٨٤هـ–١٩٦٤م.

(٢٧٧) د.محمد طاهر القادري: **فلسفة الحروف المقطعة**، ص٢١.

(٢٧٨) د.مَشْكُور كاظم العوَّادي: **مَقاصِد القرآن–مَدخَلٌ كَشْفِيٌّ بالحواميم للسَّبع الطِّوال**، بحثٌ منشورٌ فى مَجلَّة المِنهَاج، العدد٦٣،السَّنةالسَّادسةعشرة، خريف١٤٣٢هـ–٢٠١١م، ص٨٦، بيروت ـ لبنان.

(٢٧٩) المرجع السابق: الموضع نفسه.

(٢٨٠) الدُّكتور «**مَشْكُور كاظم العوَّادي**»: مِن «**العراق**»،ويعمل أستاذًا مُساعِدًا فى «**جامعة الكوفة**».

(٢٨١) **للدُّكتور «محمَّدالطَّوانسي»(رحمه الله)بحثٌ حول مُصطلَحي(التَّفسير)و(التَّأويل)بيَّن مِن خلالِه أقوالَ«أهلِ العِلْمِ»حولَ هذين المُصطلَحيْن مُنْتَهِيًا إلى أنَّهما مُترادِفان لا مُتباينان. وهذا الرَّأْيُ يُدَعِّمُه المعنى اللُّغويُّ لهذين المُصطلَحيْن مِن ناحيةٍ، ومِن ناحيةٍ أخرى استعمالُ المُفسِّرين الأوائلِ كـ«مُجاهِدبن جَبْر»و«ابنِ جريرِالطَّبريّ»لمُصطلَحِ(التَّأويلِ)بدلًا مِن(التَّفسيرِ)ممَّا يدلُّ على أنَّهما مُترادِفان.**(انظر:د.محمَّدأحمدعبدالمجيدالطَّوانسي:**دراسات في فَهْم القرآن وإعجازه وتفسيره**،مبحث«التَّفسير والتَّأويل»،ص١٠٩وما بعدها، ط.المُؤلِّف،القاهرة ـ مصر، ٢٠١١م).

(٢٨٢) محمَّد أبو زهرة: **زهرة التَّفاسير**، جـ١، ص٩٦.

(٢٨٣) الزَّمخشري: **الكشَّاف**، جـ١، ص٥٦ وما بعدها.

(٢٨٤) أبو بكر البَاقِلَّانى: **إعجاز القرآن**، ص٤٠.

(٢٨٥) يقولُ «**الطَّاهرُ بنُ عاشور**»: "**وهذا وَهْمٌ؛ لأنَّ تأليفَ الكلامِ مِن أصواتِ الكلماتِ أشدُّ دلالةً على حدوثِه مِن دلالةِ «الحروف المُقطَّعةِ» لقِلَّةِ أصواتِها**" ا.هـ. (انظر: الطَّاهر بن عاشور: **التَّحرير والتَّنوير**، جـ١، ص٢١٥).

(٢٨٦) سورة **الرُّوم**: الآيتان ١,٢.

(٢٨٧) انظر: الزَّركشي: **البرهان في علوم القرآن**، جـ١، ص١٧٥.

(٢٨٨) انظر: محمود الهندي: **هامش تحقيق كتاب «تفسير ذو النُّون المصري – التَّفسير العِرفاني للقرآن الكريم»**، ص٣٩، الطَّبعة الأولى، مكتبة مدبولي، القاهرة ـ مصر، ٢٠٠٧م.

(٢٨٩) محمَّد رشيد رضا: **تفسير المنار**، جـ١، ص١٣٩.

(٢٩٠) الألوسي: **روح المعاني**، جـ١، ص١٠٣,١٠٤.

(٢٩١) **هذا الحديث**: أخرجه«**الديلمي**» عن«**أبي هريرة**» (جـ١/ص٢١٠/رقم٨٠٢)،وضعفه«**المنذري**» (جـ١/ص٥٩)،وعزاه لـ«**أبي منصور الديلمي**»، و«**أبى عبد الرحمن السلمي**» فى «**الأربعين**» التى له فى«**التصوف**». وقال«**العراقي**» فى«**تخريج أحاديث الإحياء**»(جـ١/ص٣٩): "رواه «**أبو عبدالرحمن السلمي**» فى«**الأربعين**» له في«**التصوف**» **بإسناد ضعيف**".(انظر:جلال الدين السيوطي: **جامع الأحاديث**، جـ٩، ص٣٠٨، رقم ٨٤٨١).

(٢٩٢) انظر: د.السيد إسماعيل: **فواتح سور القرآن الكريم**، ص١٥.

(٢٩٣) انظر: المرجع السابق، ص٢٠.

(٢٩٤) انظر: ابن عجيبة: **إيقاظ الهمم شرح متن الحكم**، ص٨٧.